

4 me Année, No. 165

Lundi - 31 - 8 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العــدد ١٦٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ — ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العــــدد

فلنتعصب . . . . !

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

قال صاحب سر (م) باشا : جاءنى يوما صحفىٌّ إنجليزى من هؤلاء الكتاب المتعصبين الذين تُطلقهم انجلترا كما تطلق مدافعها ؛ غير أن هذه للبارود والرصاص والقنابل ، وأولئك للكذب والتهم والمغالطات ؛ وهو أُذُنٌ وعينٌ ولسانٌ وقلم لجريدة انجليزية كبيرة معروفة بثقل وطأتها على الشرق والاسلام ؛ تُصلح بافساد ، وتداوى الحمى بالطاعون ، وتعمل فى نهضة الشرقيين واستقلالهم ما يشبه قطع ثدى الأم وهو فى شفتى رضيعها المسكين

ودخل علىّ هذا الكاتب فى الساعة التى خرج فيها من غرفتى صاحب جريدة أسبوعية فى مدينتنا ؛ وكان قد نفخ الضِّفْدع ليجعلها ثورا فحول صحيفته إلى جريدة يومية وهو لا يجد مادتها ولا يستطيع أسبابها ، إلا أنه كدأب الناس عندنا كان يحسب الكذب فى العمل سهلا مهلا (1) كالكذب فى القول ،

(١) هذا الاستعمال مما وضعناه نحن وليس فى اللغة ، وهو من باب الاتباع كقولهم : حسن بسن وشيطان ليطان الخ

فلم يتعاظم للأمر العظيم ، واقترض لعمله كل ألفاظ النجاح من اللغة ....

وظن عند نفسه أنه سيخوّف بجريدته الكبراء والأعيان والمياسير حتى يغلب على جميعهم ويشرك أصابعه مع أصابعهم فى استخراج ما يحتاج اليه من جيوبهم ، فلم تعش جريدته إلا أياما وأتلف ما جمع ، ورهن فيها داره التى لا يملك غيرها . وعلم آخراً أن الذى يكذب فيسمى الحروف جملاً ، لا يُقبل منه أن يكذب على الكذب نفسه فيزعم أن الناقة هى التى نتجت هذا الحروف .....

ولما انقلبت هذه الجريدة يومية كان الباشا هو ملجأ الرجل ووَزَره ، وكان لكل يوم فى الجريدة أخبار عن الباشا لا تقع فى الدنيا ولا تجمع من الحوادث ، ولكن تقع فى ذهن الكاتب ، وتجمع من صناديق الحروف ، حتى قال لى الباشا مرة : إن اسمى قد أصبح موظفاً فى هذه الجريدة لجمع الاشتراك ....

وتحرّى هذا الصحفى أن يستأذن يوماً على الباشا وفى مجلسه حشدٌ عظيم من السراة والأعيان والعمد ، وكان جمعهم لأمر ، فما هو إلا أن دخل الصحفى حتى ابتدره الباشا بهذا السؤال : يا أستاذ . ما هى تلغرافات أوربا عن الحوادث التى ستقع غداً . . . . ؟

فضجّ المجلس بالضحك وفقد المسكين بهذه النكتة أربعين ديناراً كان يؤمل أن يخرج بها ، وأعلن الباشا فى أظرف إعلان وأبلغه كذبَ الرجل ونفاقه وإسفافه وأنه من رجال الصحافة المدّورة تدوير الرغيف . . .

* * *

قال : ونظرت إلى الصحفى الانجليزى نظرةً أكشفُهُ بها فاذا أولُ الفرق بينه وبين أمثاله عندنا ــ شعورُه أن بلاده قد ربته (للخارج) فهو عند نفسه كأنه انجليزى مرتين ؛ ويأتى من ذلك إحساسُه بعزة المالك وقوة المستعمر فلا يكون حيث يكون إلا فى صراحة الأمر النافذ أو غموض الحيلة المبهمة ؛ ويستحكم بهذا وذاك طبعُه العمليُّ ، فهو بغريزته مُقاتل من مقاتلة الفكر يلتمس ميدانه بين القوى المتضاربة لا يبالى أن يكون فيه الموت ما دام فيه العمل ؛ وبهذا كله تراه نافذَ البصيرة قائماً على سواء الطريق ، لأن الانجليزيَّ الباطن فيه يوجِّه الانجليزيَّ الظاهر منه ويُسانده ؛ وفى أعماق الاثنين تجد انجلترا وليس غير انجلترا

ثم تفرّست فى الرجل أريد كُنْهَه وحقيقته فاذا له نفسٌ مفتوحةٌ مقْفَلة معاً كغُرَف الدار الواحدة يُفتح بعضها لما فيه كيا يُرى ، ويُقفل بعضها على ما فيه كيلا يُرى . وله وجه عملى يكاد يحاسبك على نظراتك إليه ، تدور فى هذا الوجه عينانِ قد اعتادتا وزْنَ الأشياء والمعانى ، يتلألأ فى هاتين العينين شعاعُ النفس القوية المَرِنَة قد نَفَت الثقةُ بها نصفَ هموم الحياة عن صاحبها ، تُمِدُّ هذه النفسَ طبيعةٌ مؤمنة بأن أكبر سرورها فى أعمالها ، فواجبها فى الحياة أن تعمل كل ما يَحسنُ بها وكل ما يَحسنُ منها

لقد خُيل الىّ وأنا أنظر الى نفسية هذا الانجليزى أن كلمة الخيْبةَ عند هؤلاء الانجليز غير كلمة الخيبة عندنا نحن الشرقيين ، فان خيبة النفس لا تتم معانيها أبداً فى النفس العاملة الدائبة التى يشعرها الواجب أنه شىء إلٓهى لا يخيب ، وأن ما يرفض على هذه الأرض من العمل الطيب لا يرفض فى السماء

وكأن الرجل قد أدرك غرضى بملكته الصحافية الدقيقة فأجابنى عن السؤال الذى لم أسأله وقال لى مبتدئاً : إن أساسنا الشخصية وحاسة الواجب ؛ وإن فيكم أنتم كل شىء إلا هذين . فأخلاقنا تظهر دائماً فى العمل ، وأخلاقكم تظهر دائماً فى الكلام الفارغ ؛ ونحن نطلب الحقيقة وأنتم تطلبون الألفاظ ، حتى إنه يخسر المصرى ألف دينار ثم أعلن أنها مائة فقط وصدق الناس أنها مائة ، لكان عند نفسه كأنه ربح تسعمائة . . . .

* * *

قال صاحب السر : واستأذنت له على الباشا فسهّل ورحب ؛ ثم هممتُ بالانصراف عنهما ولكن الانجليزى قال : يا باشا ! إنه قد تمكن فى روعى أن صاحب سرك هذا متعصب دينى ، وقد علمت أنه ابن فلان القاضى الشرعى فطربوشه ابن العمامة ؛ ولقد كان ينظر إلىّ وكأنه يتأمل من أين يذبحنى . . .

فضحك الباشا وقال لى : يا فلان ! إن هذا الكاتب من تلاميذ برنارد شو ، فهو كأستاذه يجعل لكل حقيقة ذَنَباً كذيل

الهرّ ثم يمسكها منه فاذا هى تعضّ وتتلوى . . .

والتفت بعد ذلك إلى الانجليزى ثم قال له : جاءنى كتابك فاذا كنت تريد رأيى فيما تسميه التعصب الدينى عند المسلمين فعجيبٌ أن تضعوا أنتم الغلطة ثم تسألونا نحن فيها . إنك لتعلم أن هذا التعصب الكذبَ الذى أكثرتم الكلام فيه إنما هو لفظ من ألفاظ السياسة الأوربية أرسلتموه الينا ليقاتل لفظ التعصب الحقيقى ؛ ومن قبل هذا اخترعتم لفظة (الأقليات) وأجريتموها فى لغتكم السياسية لتجعلوا بها لتعصبنا الوطنى شكلا آخر غير شكله فتفسدوه علينا بهذه المادة المفسدة ؛ وبذلك تضربون اليد اليمنى من غير أن تلمسوها إذ تضربونها بشل اليد اليسرى

إن الاسلام فى نفسه عدوٌّ شديد على التعصب الذى تفهمونه ، فهو يقول لأهله فى كتابه العزيز : « كونوا قوامين بالقسط شُهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوالدَيْن والأقربين »

فاذا كان العدل فى هذا الدين عدلاً صارماً وحقا محضا لا يميز بشىء ألبتة ، لا ذاتَ النفس التى فيها اشتهاءُ الدم ، ولا أصلَها من الأبوين اللذين جاءت منهما وراثة الدم ، ولا أطرافَها من الأقربين الذين يلتفُّون حول نَسَب الدم — إذا كان هذا فأين فى هذا العدل محل الظلم ؟

لعلك تشير إلى هذه الرعونة التى تعرفها فى الأغمار والأغفال من العامة ، فهذه ليست من أثر الدين بل هى أثر الجهل بالدين . إن هذا ليس تعصباً بل هو معنى من معانى الحَمِيَّة النفسية الخرقاء لم تجدوا أنتم له لفظاً ، وكان أقرب الألفاظ اليه عندكم هو التعصب فأطلقتموه عليه للمعنى الذى فى نفسه والمعنى الذى فى أنفسكم . ألا فاعلم أن إسلام العامة اليوم هو كالدعوى المقبولة شكلا والمرفوضة بعد ذلك

قال الانجليزى : ولكن لهؤلاء العامة علماء دينيين يدبِّرونهم من ورائهم وهم عندكم ورثة النبى (ص) أى منبع الفكرة وقوتها

قال الباشا : غير أن هؤلاء قد أصبحوا كلهم أو أكثرهم لا يندسُّ فيهم عرقٌ من تلك الوراثة ، وذلك هو الذى بلغ بنا ما ترى . فالقوم إلا قليلاً منهم كالأسلاك الكهربائية المعطلة لا فيها سلبٌ ولا إيجاب ؛ ولو أن هؤلاء العلماء كانت فيهم كهرباء النبوة لكهربوا الأمم الاسلامية فى أقطارها المختلفة . إذن لقام فى وجه الاستعمار الأوربى أربعمائة مليون مسلم جلد صارم شديد مُتظاهرين متعاونين قد أعدوا كل ما استطاعوا من قوة العلم وقوة النفس ، وهم لو قذف كل منهم بحجرين لردموا البحر . . .

أتريد معنى التعصب فى الاسلام ؟ إنه بعينه كتعصب كل إنجليزى للأسطول ، فهو تشابك المسلمين فى أرجاء الأرض قاطبة وأخذهم بأسباب القوة الى آخر الاستطاعة لدفع ظلم القوة بآخر ما فى الاستطاعة

وهو بذلك يعمل عملين : استكمال الوجود الاسلامى والدفاع عن كماله

وإذا أنت ترجمتَ هذا إلى معناه السياسى كان معناه إصرار جميع المسلمين على نوع الحياة وكرامتها لا على استمرار الحياة ووجودها فقط . وذلك هو مبدؤكم أنتم أيها الانجليز لا تقبلون إلا حياة السيادة والحكم والحرية فأنتم مسلمون فى هذا المبدأ لو عدلتم

أليس من البلاء أن المسلمين اليوم لا يدرس بعضهم بلاد بعض إلا على الخريطة . . . مع أن الحج لم يُشرع فى دينهم إلا لتعويدهم دراسةَ الأرض فى الأرض نفسها لا فى الورق ، ثم ليكون من مبادئهم العملية أن العالم مفتوح لا مقفل ؟

إن التعصب فى حقيقته هو إعلان الأمة أنها فى طاعة الشريعة الكاملة ، وأن لها الروح الحادة لا البليدة ، وأن أساسها فى السياسة الاحترام الذاتى لا تقبل غيره ، وأن أفكارها الاجتماعية حقائق ثابتة لا أشكال نظرية ، وأن مبدأها هو الحق ولا شىء غير الحق ، وأن قاعدتها « لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم » فالهداية أولاً والهداية أخيراً : الهداية فى القوة والهداية فى السياسة والهداية فى الاجتماع . فقل لى بحياتك وحياة انجلترا : أيعاب ذلك على المسلمين إلا بالألفاظ التى يعيب اللص بها أهل الدار لأنهم يحكمون فى وجهه إقفال الباب . . . ؟

قال : فوجم الانجليزى حتى ذهل عن نفسه وصاح : إذا كان هذا فلنتعصَّب فلنتعصب

(سيدى بشر . اسكندرية) مصطفى صادق الرافعى

الســـيـــارة المسروقة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

« إن من الواضح أن تربيتك ناقصة ... ناقصة جداً ... هذا أنا — بجلال قدري — أكلمك منذ عشر ساعات وخمس وعشرين دقيقة وثلاث وأربعين ثانية وأنت لا تجيبين ... »

فقالت زوجتي أخيراً ، وألقت ما بيدها — وكان شيئاً تطرزه — أو لا أدرى ماذا تصنع به — : « إني لست اليوم كفؤاً لك ولهزلك ، فاسكت من فضلك ! »

قلت : « هذا بديل جميل من الاعتذار ! ... ألا تستحين يا امرأة ؟ .. ثم ما هذا الذى تتشاغلين به عن التقاط الحكمة من فم سيدك وتاج رأسك وبعلك ؟ »

قالت : « أرجوك ! . أرجوك يا مسلم !! ثم إن الطباخة خرجت ! ... »

فانتفضت واقفاً وصحت : « نهارها اسود ! لماذا ؟ »

قالت : « استحسن زوجها أن يكون ذهابها اليه يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد »

فانحططت على الكرسي وقلت : «ووافقت أنت بالطبع ..»

قالت : « وماذا أصنع غير ذلك ؟ وقد أصرّ على يوم الجمعة ، فلو رفضت لفارقتنا ، ولعدنا إلى حيرتنا القديمة »

قلت : « يا امرأة .... هل تعرفين أني أتضور فى هذا البيت ؟ ... يوم الجمعة الذى أستريح فيه ، وأظل أحلم طول الليل بما أطمع أن أنعم فيه من الآكال ؟ ؟ أوه ! إن هذا لا يطاق ! هذه ... هذه ... هذه ... نعم هذه بلشفية صريحة ! ومع ذلك تزعم الحكومة أنها تكافحها ! ما عيب يوم الأحد بالله ؟ لماذا يجب — حتما — أن تكون بطالتها يوم الجمعة لا غيره ؟ ... »

فضجرت زوجتي وبدأت تنفخ ، وقالت : « ألا تسكت ؟ ما لك أنت ؟ إن لك أن تأكل والسلام ... ثم إنها مسلمة ، وكذلك زوجها ، فيوم الجمعة أوفق لها »

قلت : « وهل من الضروري أن تتزوج هذه الدميمة وذلك المغفل ؟ »

قالت — وهى تتمطى — : « إنى أشعر بفتور وخدر ، فأعفنى بالله من وجع الدماغ ، وحسبى همّ إطعامك فى هذا اليوم الثقيل .... »

قلت — وقد خطرت لى فكرة — : « اسمعى أقل لك »

قالت — وهى تضحك — وهل ترانى اليوم هنا إلا لأسمع .. تفضل يا سيدى ونور عينى ... وماذا أيضاً ؟ »

قلت : « وتاج رأسك ! اسمعى ... إن الفتور يغشى جسمك كما تقولين ، وأنا رأسى يكاد يطير مذ عرفت أن هذه الطباخة الكريهة الوجه قد تخلت عنا فى يومنا هذا ، فما قولك فى أكلة ناشفة خفيفة نصنعها هنا أو نشتريها ؟ »

فقالت وقد لمعت عيناها : « لماذا ؟ »

قلت : « وندعو لولو وسليا — من أقربائنا — ونذهب جميعاً ومعنا الأولاد إلى القناطر الخيرية ، فنقضى يوما هناك بين الخضرة والماء »

قالت : « ولكنه سينقصك الوجه الحسن »

قلت : « يا خبيثة .... هل تظنين أنى تزوجتك وأنا مغمض العينين ؟ »

وحشرتهم جميعاً فى السيارة ، ودسست السلة التى فيها الطعام والشراب فى مكان مجعول لما يحمل المسافر من زاد ومتاع ، وكانت الساعة الثانية مساء حين انطلقنا فبلغنا القناطر بعد نصف ساعة ، فحملنا أشياءنا وتركنا السيارة فى حراسة رجل من الواقفين هناك المستعدين لمثل هذه المهمات ، وتخيرنا مكانا يشرف على الماء وتظلله أشجار باسقة وبسطنا السجادة وألقينا عليها صفحات من جرائد الصباح والمساء ووضعنا عليها الصحون والصوانى ثم شرعنا نأكل . ولم يكن الطعام فيما يبدو لعيوننا الفارغة كثيراً ، فجعل بعضنا يخطف من بعض ، فكانت ألذ أكلة وأهناها ، ثم طرحنا الوسائد على السجادة واستلقينا ، فنام من نام . ولما آذنت الشمس بالغروب ركبنا زورقا فى ترعة أشمون ، ثم بدا لنا أن نعود لندرك «الشيخ رفعت» وهو يتلو القرآن الكريم — فما نحب أن يفوتنا ذلك منه قط — فرجعنا الى حيث السيارة . . فاذا بها قد اختفت ! ! ؟

بهتُّ حين رأيت مكانها خالياً ، فوقفت كالصنم وأقبلت على

زوجتي تسألني وتهز ذراعي ، فقلت لها وقد أفقت قليلاً « نعم . . هزي ذراعي .. بقوة .. إن بي حاجة الى الشعور بأني لست أحلم وأن هذا ليس كابوساً .. »

قالت : « أين ذهبت ؟ »

قلت : «فتشيني !.. لقد كانت هنا .. تركتها في هذا المكان وليس في الأرض ما يدل على أنها انشقت وابتلعتها . . . ولست أعرف أن لها أجنحة فلا يمكن أن تكون طارت .. إنَّ الطريقة الصحيحة للاهتداء الى الحقيقة هي أن يبدأ المرء بنفي كل الاحتمالات غير المعقولة — كما تريني أصنع الآن »

فصاحت «لولو» : « لقد سرقها اللصوص »

فصحت بها : « تالله ما أذكاك يا فتاتي ! ! . كيف لم نفطن الى هذا بمثل هذه السرعة المدهشة ؟ »

فقالت لولو : « وماذا تكون مزية العبقرية وفضيلتها إذن ؟ »

قلت : « صدقت يا فتاتي النابغة .. »

فقالت زوجتي مقاطعة : « أهذا وقت الكلام الفارغ ؟ . ألا تفكرون في طريقة لاستردادها ؟ »

فقلت : « آه .. هنا أيضاً عبقرية ولكن من ضرب آخر ، ضرب عملي لا يرتاح الى النظريات .. عبقرية يمكن أن ننعتها بأنها نابليونية ؛ ولست أرى أنه ينقصنا — لنوقن من أن السيارة عائدة باذن الله — إلا ضرب ثالث »

فقالت زوجتي متهكمة « نعم يا سيدي .. ؟ »

قلت بحدة : « لا تتهكمي يا امرأة .. نعم ينقصنا الضرب الشِّرلُكمْزِي »

فصاحوا جميعاً : « إيه ؟ »

فقلت : « أعوذ بالله ! ! ما لكم تصرخون هكذا ؟ . نعم الشرلكمزي . . يا جهلة . . لو كنتم تعنون بتثقيف عقولكم الفارغة قدر عنايتكم بخلافي والمكابرة معي وإنكار نعمتي عليكم وجحود فضلي..لعرفتم أن الشرلكمزي نسبة الى شرلوك هولمز»

فقالت زوجتي وهي تضع كفها على فمي : «طيب اسكت بقى !»

فلثمت راحتها وسكت — كما أمرت !

* * *

وقال سليم — أخو لولو — : « إن من الواضح أن علينا أن نتفرق »

قلت : « بديهي . . حتى لا يرانا اللصوص فيخافوا . . نعم يحسن ألا نضع شيئاً يزعج اللصوص ويفسد عليهم متعتهم »

فصاح بي : « يا أخي ألا تكف عن هذا العبث ؟ »

قلت : « كففت باذن الله . . تفضل . . ولكن اسمح لي أن أسأل هل تمنى أن نرسل الأطفال وحدهم في ناحية ، وأمهم وأختك في ناحية ، وتذهب أنت إلى حيث ألقت ، وأعود أنا إلى البيت ، وقد تخلصت منكم جميعاً ؟ ؟ إن كان هـذا مرادك فأنا من الآن موافق ، والسلام عليكم ، ولا تكلفوا أنفسكم إرسال عناوينكم »

وبعد أن هدأت الضجة التي أثارتها هذه الكلمات البريئة قال سليم : « تأخذ أنت الأطفال وهاتين أيضاً — وأشار إلى زوجتي وأخته — وتركب تاكسي وتمر أولاً بمركز البوليس ثم لا تتكل عليه بل تذهب تبحث . . وأنا أذهب أبحث من ناحية أخرى »

فقالت زوجتي لسليم : « بل أكون أنا معك فاني لا أكاد أطيق مزحه في هذه الساعات . . إنه لا يفرق بين جد وهزل .. كل وقت عنده صالح للضحك . . شيء فظيع . . »

قلت : « أشكرك . . على أني أستطيع أن أهذب لك خطتك العقيمة . . »

فقالت زوجتي : « بالله اسكت . . . أرجوك . . . أو . . . جووووووك »

قلت : « حالاً . حالاً . كل شيء في وقته يا امرأة . . وهل هذا وقت رجاء ؟ ؟ إنه وقت العمل . . ألا تفهمين ؟ . اسمع يا هذا . . تذهب أنت إلى البوليس وتعفيني من هذه المهمة التي لا أرتاح إليها ، ولا أعتقد أن فيها فائدة ، وتأخذ معك هذه الزوجة الجاحدة الناكرة للجميل ، وافعل بعد ذلك ماتستطيع ، وإلى الملتقى في البيت العامر إن شاء الله »

فقالت زوجتي : « أيوه . أنا أقول لكم ماذا ينوي أن يصنع . . سيذهب إلى البيت مباشرة ولا يكلف نفسه أي عناء في البحث عن سيارته . . وسترون »

فقلت : « وهبيني فعلت ذلك فهل كنت تحسبين أني شرطي أو بوليس سري ؟ ؟ وماذا أصنع إذا كانت السيارة قد سرقت ؟ هل أجري في الشوارع كالمجنون ؟ . . أو أقعد على هذا الرصيف

وأبكي ؟ . . ثم إن مى طفلين صغيرين يريدان أن يناما . . أليس كذلك يا ميدو — اختصار عبد الحميد من فضلك — ومى أيضا هذه الفتاة الطويلة البلهاء التى لا رأس فى عقلها — أعنى لا عقل فى رأسها ! »

فمضيا عنى ولم يجيبا بشىء . وضحكت لولو فقلت : « هذا أحسن . . ما فائدة الحزن واللطم والندب ؟ ؟ ثم إنهما مغفلان — ولا مؤاخذة — فتعالى نسأل أولاً الحارس الذى كان هنا متى رآها آخر مرة فقد خطرت لى فكرة أرجو من ورائها خيراً كثيراً وراحة تامة »

وبحثنا عن الحارس حتى وجدناه نائماً تحت شجرة فأيقظناه فقال لنا : إنها كانت هنا منذ وقت قصير جدا وقد ركبها رجل وفتاة ، وإن الرجل قال حين سألته عن الباقين — منا — : إنه ذاهب ليشترى لهم شيئاً ثم يعود . فسألته عن الاتجاه الذى ذهبا فيه فأشار الى القناطر وطريق القاهرة

فطلبت أن يجيئنا بتاكسى بسرعة ، وقلت للولو : « إذا حقق الله ظنى فسيخيب أمل السارق وفتاته ، لأن السيارة ليس فيها من البنزين ما يكفى إلا عشرة كيلو مترات على أكثر تقدير ، وأنا أرجو أن يخطئ الخطأ المعقول أى أن يتوهم أن من يجئ إلى القناطر بسيارة لا بد أن يكون قد تزود الكفاية من البنزين للذهاب والاياب معاً ، فيمضى معولاً على ذلك ومتخوفاً من أن يقف فى القناطر لأخذ بنزين آخر فتقف به السيارة فى الطريق حيث لا بنزين ، ولا يخطر له فى أول الأمر أن هذه هى العلة فيدور يبحث عن سبب آخر لوقوفها ويضيع فى هذا وقتاً ثميناً ثم ييأس فيتركها فى الطريق وينجو بجلده »

وكنت أنا مقتنعاً بهذا الرأى حتى لقد اشتريت « صفيحة بنزين » من القناطر وضعناها معنا فى التاكسى وقلت للولو : « لهذا فائدة أخرى هى أن يعتقد سائق التاكسى حين نتركه ونركب سيارتنا أنا ما استأجرنا سيارته إلا لهذا السبب ، فلا يروح يعجب أو يسأل عن شىء ولا يبدو له شىء غريب فى عملنا »

وقد شاء الله أن يحقق ظنى فما كدنا نقطع خمسة كيلو مترات من الطريق بعد أن تركنا القناطر وأخذنا فى سكة قليوب حتى وجدنا السيارة . وأوجز فأقول إنا ركبناها فرحين وعدنا إلى القناطر عسى أن نجد بقيتنا . فلما لم نجد أحداً تركنا لهما خبراً عند الحارس النائم ثم حملناه معنا إلى مركز البوليس لنسرهم ونعفيهم من البحث فعلمنا أن أصحابنا أبلغوهم خبر السرقة ، وأن بعض الشرطة خرج للبحث وأن الخبر طير بالتليفون إلى قليوب والقاهرة ولجهات أخرى أيضاً لضبط السارق فى الطريق . فشكرنا لهم هذه الهمة التى لم تكن متوقعة ثم قلت لهم : « إن المهم الآن هو البحث عن زوجتى ! »

فصاح الرجل « إيه ؟ »

قلت : « إنها مع قريبى وقريبها »

قال : « انتهينا »

قلت : « كلا لم تنته . . وما أدراك أن هذه ليست سرقة أخرى أفظع وأشنع ؟ »

فضحك الرجل وجرتنى لولو وهى تحتج

* * *

تركنا السيارة أمام رصيف البيت وجلسنا فى الشرفة نأكل لحم الغائبين — أعنى ننتظرهما — وإذا بهما عائدان بعد نحو ساعتين فى سيارة — هى أخت سيارتنا بلا فرق — فانحدرت إلى الطريق بسرعة فوجدتهما يتأملان هذه المعجزة . فقلت : « تمام .. لقد سرقت هذه السيارة يا صاحبى ولم أكن أعرف أن قريبى ونسيبى لص .. ولكن ماذا أصنع ؟ . لقد أخفوك عنى قبل أن أتزوج . فصار واجبى أن أخفيك أنت عن الناس بعد أن تزوجتُ »

فهم بكلام فمنعته ودعوته أن ينظر إلى رقم السيارتين ، فاقتنع وقال ما العمل الآن ؟ قلت : « تستعد للسجن . . لقد كان هذا واجباً من زمان طويل فى الحقيقة ، ولكن ما أكثر من يستحقون السجن وهم طلقاء .. والآن اذهب بالسيارة إلى الجراج — السيارة المسروقة — ثم أبلغ البوليس بالتليفون وقل له إنك عندى تنتظر حضوره للقبض عليك »

وعرفنا منهما بعد ذلك أنهما ركبا القطار ثم الترام إلى العتبة الخضراء وإذا بهما يريان السيارة عند رصيف إدارة البريد فذهبا إليها يعدوان فألفياها خالية فركبا ، وساقها هو وانطلقا بها من غير أن يعنيا بالنظر الى رقمها وانحدرا بها فى شارع فاروق وتركا

صاحبها المسكين يجرى وراءها ويصيح ويصرخ ويستنجد وهما يضحكان مسرورين ! بارك الله فيهما من لصين جريئين !

فقلت لها : « لا عليكما .. ستكون العتبة الخضراء كلها عندنا بعد دقائق ببوليسها وصبيانها وباعتها .. إلى آخره .. إلى آخره .. وسيشهد الجيران وجيران الجيران ، أمتع رواية رأوها أو يمكن أن يروها فى حياتهم أو حياة هذا الشارع الرزين »

وجاء الشرطة والمسروق المسكين فى تاكسى . وكان لا بد أن يروا السيارة وأن ينزلوا ، وكنت واقفاً إلى جانبها أنتظر هذا التشريف ، فقال الرجل « هذه هى .. » ومسح العرق المتصبب ودنا منها وهم بأن يفتح بابها فتصديت له وقلت : « عفواً .. هل من خدمة ؟ . »

فصاح « خدمة ؟ ؟ خدمة يا حرامى يا مجرم ! ! أين أخفيت شريكتك ؟ المرأة التى كانت معك ؟ »

فنظرت إلى الشرطى وأنا أبتسم — فقد كان الموقف يتطلب الهدوء والكياسة — وقلت : « هذه سيارتى ياحضرة الشاويش فما خطب هذا الرجل ؟ »

فصاح الرجل « سيارتك يا حرامى يا صفيق الوجه ؟ »

قلت : « إنى أسمح لك بأن تتأملها »

فدار حولها ونظر إليها من الأمام ثم من الخلف ، ثم وقف أمامى وهو يرعد وينتفض ويقول : « أما مجرم ! ! .. بسرعة غيرت أرقامها ؟ ؟ ولكن هل تظن أن هذا ينفعك ؟ »

فبدا على وجه الشرطى التردد حينما سمع أن الأرقام مختلفة ، وإذا كان المفجوع فى سيارته قد طار عقله ، فان الشرطى لا يوجد ما يدعو إلى ذهاب عقله أيضاً . وقلت أنا : المسألة بسيطة . ومن المعقول أن أغير لوح المرور بسرعة ، ولكن ليس من المعقول أن أغير رقم الشاسيه المحفور على محرك السيارة ، فتفضل واذكر هذا الرقم بعد مراجعة رخصتك إذا شئت ثم ارفع غطاء المحرك وانظر . »

ففعل فاذا الرقم مختلف جداً وشعر بالهزيمة ، وأدرك أنه تجنى على جداً ، فبدأ يعتذر ، فسألته

« ولكن كيف يمكن أن تخطئ إلى هذا الحد ؟ ؟ هل يعقل ألا تعرف سيارتك ؟ »

قال : « إنه لا فرق بينهما على الاطلاق — لا من الداخل ولا من الخارج ؟ »

فقال الشرطى : وهو يريد أن يفض النزاع الذى تهور فيه صاحبنا : « مادامت السيارتان متشابهتين إلى هذا الحد فانه معذور ، فسامحه »

قلت : « وهل كنت تعذرنى لو أنى أخطأت مثل خطئه ، وذهبت أسب الناس وأتهمهم بالسرقة ؟ »

قال « طبعاً .. صحيح إنه تهور فى الاتهام قبل التثبت ، ولكنه معذور فى خطئه فى معرفة السيارة »

قلت « وإذا دللتك على سيارتك هل تشكرنى ؟ ؟ أم تستأنف اتهامك لى بالسرقة ؟ »

فعاد إلى الاعتذار ، وأكد لى أنه يكون شاكراً جداً ، فلم يبق داع للاطالة ، فرويت له وللشرطى القصة من أولها إلى آخرها كما وقعت ، وقلت لهما : إننا أبلغنا مركز البوليس أنا وجدنا السيارة الأخرى التى ظنها قربى سيارتنا ، وأن البوليس لا شك سيحضر بعد قليل ليتسلمها

وبهذا انتهى الحادث

وقلت لزوجتى وأنا أدخل بعد الفراغ من ذلك : « هل تعترفين الآن أن الذى كان يضحك ويمزح كان هو الحكيم السديد الرأى الصحيح النظر ؟ »

فآثرت المكابرة وقالت إنها مصادفة واتفاق ، فشهدت لولو بأنى أحسنت التقدير ، فعادت زوجتى تلوم لأنى كتمت رأيى الحقيقى وتركتها تذهب وتلف وتدور مع سليم ، وأنى آثرت لها التعب ولنفسى الراحة ، فقلت « ليكون هذا لك درساً .. ألم أقل لك إن تربيتك ناقصة ؟ » فهاجوا بى وثاروا ولكن هذا لا يعنى القراء لا قليلاً ولا كثيراً .

ابراهيم عبد القادر المازنى

أسبوع فى سبتمانيا

من ذكريات العرب والاسلام فى غاليس

للاستاذ محمد عبد الله عنان

فى أحد أبهاء قصر فرساى مجموعة من الصور الرائعة تمثل مناظر من الوقائع الحربية الشهيرة التى انتصر فيها ملوك فرنسا؛ وبين هذه المجموعة صورة لموقعة بلاط الشهداء التى نشبت بين العرب والفرنج على ضفاف اللوار فى سنة ٧٣٢ م، يبدو فيها عبد الرحمن الغافقى أمير الأندلس، وقائد الجيش الاسلامى، شيخاً رائعاً ذا لحية طويلة بيضاء، وهو شاهر سيفه، ومن حوله بعض جنوده قتلى، وأمامه جنود الفرنج يكرون على خصومهم بشدة، وتبدو عليهم أمارات التفوق والنصر

وهذه الصورة إحدى الذكريات القليلة التى تحتفظ بها فرنسا عن عصر يكاد يمحوه النسيان من صحف تاريخها، ونحن نعرف ماذا كان من أمر العرب فى بلاط الشهداء، فقد قتل قائدهم عبد الرحمن خلال الموقعة، ثم ارتدوا فى ظلام الليل إلى الجنوب؛ وغنم الفرنج الموقعة، واقترنت ذكرى النصر إلى الأبد باسم قائدهم وزعيمهم كارل مارتل، واعتبرته التواريخ النصرانية منقذ أوربا والنصرانية من الاسلام وسلطانه وتعاليمه

بيد أن ذكرى هذا النصر الفرنجى لا يمكن أن تحجب ذكريات عصر قصير باهر قضاه العرب فى جنوب فرنسا، فقد افتتح المسلمون ولايات فرنسا الجنوبية فى أوائل القرن الثامن واستقروا فى سبتمانيا زهاء نصف قرن؛ ثم عادوا فى أوائل القرن العاشر جماعات مغامرة مجاهدة واحتلوا كثيراً من أنحاء بروفانس والرفييرا، واستعمروها زهاء قرن، وتركوا كثيراً من آثارهم وذكرياتهم المعنوية فى تلك الأنحاء

ولكن الأوربى، والفرنسى بنوع خاص، قلما يذكر هذا الفصل من تاريخ العرب والاسلام فى أوربا؛ وإذا كان بعض الباحثين والمؤرخين الاخصائيين يعرضون إليه فى كتبهم، فان التواريخ الغربية العامة تمر عليه غالباً بالصمت، أو تذكره عرضاً كحادث طارىء طوى صفحته تعاقب الأحقاب؛ وإذا قصصت على الفرنسى المثقف شيئاً من تفاصيل هذه الغزوات الاسلامية لجنوب فرنسا، وذكرت له أن العرب قد انتهوا فى فتوحاتهم إلى أعالى نهر الرون، وأنهم استولوا على بيزانصون مسقط رأس شاعرهم فكتور هوجو، وعلى ليون وماسون وصانص، وأنهم احتلوا الأنجدول وبروڤانس دهراً، وأن قواعد سبتمانيا مثل أربونه وأجده ومجلونه وقرقشونه، ما زالت تسمى بأسمائها العربية محرفة إلى الفرنسية: إذا ذكرت للفرنسى المثقف شيئاً من ذلك أصغى إليك بمنتهى الدهشة وكأنما يصغى الى قصة خرافية يطبعها الخيال المغرق

***

ولقد أتيح لى أن أقضى أسبوعاً فى هاتيك الربوع التى خفقت عليها الأعلام العربية حقبة من الدهر. أجل، خطر لى أن أجوز إلى سبتمانيا القديمة، وأن أشاهد قواعدها التى ما زالت أسماؤها تنم عن ذكرياتها العربية. ولقد كانت سبتمانيا — وهو اسمها القديم ومعناه ذات المدن السبعة — أو لانجدولا الحديثة، أول أرض فرنجية غزاها العرب عقب افتتاح الأندلس، واتخذوها قاعدة لغزواتهم فى جنوب فرنسا، وجعلوها ولاية أندلسية سميت بالثغر (La Marche) أو الرباط لوقوعها على ساحل البحر الأحمر؛ وكانت مدن سبتمانيا السبعة: أرله، وأربونه، ونيمه، وقرقشونه، وبيزيه، وأجده، ومجلونه. وكانت أربونه عاصمتها، وكانت أمنع المعاقل العربية فى غاليس (جنوب فرنسا). ولما وقعت الحرب الأهلية فى الأندلس، عند ما أشرفت الخلافة الأموية على نهايتها، كانت أربونة قاعدة المعارضة لحكومة قرطبة، وكانت منزل الحركة التى قام بها حاكمها عبد الرحمن اللخمى «أشجع فرسان الأندلس» لانتزاع أمارة الأندلس؛ ولما اضطربت أحوال الأندلس الداخلية، انتهز الفرنج الفرصة لاسترداد سبتمانيا، وكانت أربونه آخر معقل عربى وقف فى وجه الفرنج، ولم تسقط إلا بعد دفاع مجيد سجلته الروايات المعاصرة، وكان ذلك فى منتصف القرن الثامن الميلادى (سنة ٧٥٨ م)

تلك هى خلاصة المأساة العربية فى سبتمانيا. أجل كان العرب سادة فى هاتيك الربوع منذ ألف ومائتى عام؛ ولكن سبتانانا

لا تحمل اليوم أقل أثر مادى من طابعها العربى القديم . بيد أنه مما يلفت نظر السائح المتجول أن اسم « حى العرب » أو « شارع العرب » يطلق على كثير من الأنحاء فى مدن الرفييرا وسبتمانيا ؛ وهذا يرجع بلا ريب إلى وحى الذكريات العربيــة ؛ وقد توجد أيضاً أطلال دارسة لبعض الحصون العربية ، ولكنها مما يصعب تمييزه وتحقيقه

على أنه توجد ثمــة آثار معنوية كثيرة من العهد العربى فى الحياة الاجتماعية فى تلك المنطقة ، وبخاصة فى بروڤانس حيث تأثر التفكير والآداب عصراً بالمؤثرات والأساليب العربية ، وحيث طبع المستعمرون المسلمون فى القرن العاشر حياة هذا الاقليم بطابع من عاداتهم وتقاليدهم . وقد كانت هذه الحقائق التاريخية موضع عناية بعض الباحثين فى القرن الماضى فتناولوها بالشرح والاستقصاء ، وكانت مباحثهم فتحاً جديداً فى هــذا الميدان ؛ ونستطيع أن نخص بالذكر منهم العلامة المستشرق رينو ، فقد كتب عدة فصول بديعة فى كتابه « غزوات العرب فى فرنسا » Hist. des Invasions des Sarazins en France عن الآثار الفكرية والاجتماعية فى جنوب فرنسا وبخاصة فى بروڤانس

ولقد اخترقتُ سبتمانيا من آرله Arles حتى جبال البرنيه ؛ ووقفت مدى حين فى مدينة أربونه Narbonne . وقد أذكى خيالى حين شهدت عاصمة الرباط الأندلسى القديم ، تلك الذكريات العربية البعيدة التى تغيض فى عالم القرون والتى لم أجد لهــا أثراً فى المدينة الفرنسية الحديثة . وحينما وقفت فى « برپنيان » تذكرت أنها كانت مجاز الجيوش الأندلسية إلى غاليس ، وأن عرب الأندلس كانوا يفضلون اجتياز جبال البرنيه من الناحية الشرقية من ممر برپنيان ، مخترقين قطلونية إلى « الثغر » ثم يتجهون بعد ذلك شمالاً إلى أقاليم الرون ، أو غرباً نحو « اكوتين » ؛ بيد أنه توجد إلى جانب ممر برپنيان ممرات أخرى كان يتدفق منها عرب الأندلس إلى جنوب فرنسا ، وأشهرها ممر « رونشفال » الشهير الذى يسميه الادريسى « باب الشزرى » . ولرونشفال ذكرى خالدة فى التاريخ والقصص الفرنسيين ، فقد كانت مسرحاً للموقعة الشهيرة التى مزق فيها العرب جيش كارل الأكبر (شارلمان) حين عوده من غزوته لأسبانيا الشمالية ، التى نظم فيها رولان وصيف شارلمان أنشودته الشهيرة Chanson de Roland

وإن السائح المتجول ليتساءل حين يتأمل تلك الوهاد كيف استطاع العرب الذين برزوا من بسيط الصحراء إلى الغزو أن يجتاحوا تلك الهضاب الوعرة ، وأن يحرزوا النصر الباهر فى هاتيك السهول النائية على حين أن أعداءهم أعرف بطباتها وجنباتها . ولقد كان اجتياز جبال البرنيه الشامخة أعجوبة فى التاريخ القديم ؛ ولكن العرب اجتازوا تلك الربى الهــائلة واقتحموها مراراً فى سبيل الفتح . ولقد خالجنى مثل هذا الشعور حينما اجتزت صحراء العرب منذ بضعة أعوام ، وأذكى القفر الشاسع خيالى ، فتساءلت كيف استطاعت الجيوش العربية الزاخرة أن تجتاح هــذا القفر الرائع فى عصر كان التنقل فيــه محفوفاً بأعظم المشاق ؟ وكيف كانت هذه الجيوش تمون نفسها بالزاد والماء خلال أسابيع طويلة تستقبل فيها الشمس المحرقة والرياح السافية ؟ أجل لقد كان اجتياز الجيوش الاســلامية فى مختلف العصور لصحراء العرب وصحارى الشام وشمال افريقية أعجوبة من أعاجيب العصر ، بل إن اجتياز هــذه الصحارى فى عصرنا يعتبر عملاً من أعظم الأعمال الحربية

ولقد ذكرت بهذه المناسبة ملاحظة غريبة أبداها المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون عن خواص الفتح العربى ، فقد عقد فى مقدمته فصلاً ذهب فيه إلى « أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط » وأورد كعادته أمثلة وأسباباً ، ولكنى أعتقد أن ابن خلدون غير محق فى ملاحظته ؛ ويكفى أن نذكر أن العرب افتتحوا هضاب فارس وأرمينية والأناضول والغرب ، وافتتحوا أسبانيا وتغلبوا على وعرها بأيسر أمر ، ثم اقتحموا جبال البرنيه الشامخة إلى فرنسا وافتتحوا ما وراءها من الهضاب والسهول ؛ ولم تكن هذه كلها من البسائط التى يعنيها ابن خلدون

***

هذه خواطر أثارتها فى نفسى زيارتى لسبتمانيا أو الرباط الأندلسى القديم ؛ ولقد قضيت فى تلك الربوع أياماً ؛ وكنت كلما وقفت بأحد هــذه المعاهد القديمة ارتد خيالى إلى ما قبل ألف ومائتى عام وتصورت العصر الاسلامى كله ماثلا أمام عينى بحوادثه ووقائعه الحافلة ، ومرت بذاكرتى أسماء عربية رنانة روت بدمائها تلك

الأرض : السمح بن مالك بطل موقعة تولوشة ، عبد الرحمن الغافقي بطل موقعة بلاط الشهداء . . . . ولقد كنت في الواقع على سفر إلى الأندلس ، وكنت أعتزم أن أتجول في ربوعها التي ما زالت تحمل ذكريات عزيزة للاسلام وآثاره ، ولكن الثورة الاسبانية المشئومة حالت دون تحقيق هذا الأمل ، فلبثت أياماً في سفح جبال البرنيه أرقب الحوادث وأنتظر سنوح الفرصة ، ولكن شاء ربك أن يندلع لهيب الثورة في جميع أنحاء أسبانيا بصورة مروعة تحمل أشد المغامرين على الزهد في زيارتها

على أن الزمن كفيل بتحقيق الأمل ، والصعاب تشحذ العزائم . وسوف أستعين بالله دائماً على المضي في مباحثي الأندلسية إلى أن يحقق أملي كاملاً في إخراج تاريخ العرب والاسلام في أسبانيا

فينا في ١٨ أغسطس **محمد عبد الله عنان**

لَمَعَـــات

الى الفيلسوف الشاعر محمد اقبال

جواباً لكتابيه : « أسرار خودى » و « رموز بى خودى »

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

للصوفية فلسفة عالية في العالم والانسان والخالق ، ولهم آراء حكيمة في الأخلاق والاجتماع . وقد صاغوا كثيراً من آرائهم في صور شعرية جميلة تجلى فيها القلب الانساني في أرق مداركه ، وأصفى منازعه ، وصوروا فيها خفايا النفس الانسانية

وفي العربية كثير من الشعر الصوفي مفرق في الكتب . وفيها دواوين خصت بهذا الضرب من الشعر ، أشهرها ذكراً ديوان ابن الفارض ، ودواوين ابن العربي ، وديوان النابلسي

ولشعراء الفارسية المقام الأسمى في الشعر الصوفي ، وقد حاكاهم فيه شعراء التركية والأردية . وأعظم شعراء الفارسية في هذا مجد الدين سنائي وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي ، وهو زعيم شعراء الصوفية وفلاسفتهم جميعاً

— ٢ —

وكأن الله سبحانه أراد أن يبعث مولانا جلال الدين في هذا العصر مزوداً بفلسفته وعلومه ، إلى فلسفة الصوفية ، وصفاء نفوسهم ، فبعثه في صورة شاعر الاســـلام وفيلسوفه محمد إقبال الهندي

ولاقبال منظومات كثيرة معظمها بالفارسية ، وبعضها بالأردية ، وقد ضمنها من الفلسفة والتصوف والأخلاق والاجتماع والسياسة ونقد المدنية ما يملأ القارىء إعجاباً . والرجل حر ، يكره التقليد ويحذر منه ، فعقله وقلبه ظاهران في كل ما يكتب . ومن منظوماته كتابان سماها « أسرار خودى » و « رموز بى خودى » أي أسرار الذاتية ، ورموز اللاذاتية . ومدار البحث في الأول بيان أن العالم قائم على « الذاتية » وأن حياة الانسان بابراز ما أودع في فطرته من المواهب ، وتقوية نفسه . ومدار البحث في الكتاب الثاني بيان ائتلاف الأفراد في الجماعة ، وما تقوى به الجماعات . وقد شرح ذلك كله شرحاً مبيناً ، وضرب الأمثال ، واستشهد التاريخ ، وسما إلى الدرجة العليا في الشعر

وقد ترجمت في مجلة (الرسالة) صفحات من هذين الكتابين ، ومن ديوانه پيام مشرق الذي جعلـــه الشاعر جواباً للشاعر الألمـــاني جوته

— ٣ —

وقد بدا لي أن أنشر في (الرسالة) منظومة أهديها إلى إقبال ، وأجعلها صدى لكتابيه المذكورين آنفاً

وأريد مع هذا أن أنهج بها في العربية نهجاً جديداً ، وأجعلها مثالاً للمعاني السامية التي يتناولها الشـــعر إذا أطلق من عقاله ، وحرر من الموضوعات الضيقة التي اعتادها جمهور الشعراء ، ولا سيما المعاني التي تكثر في أشعار الصوفية العظام . ثم أريد أن أجعلها مثالاً للقافية المزدوجة التي قصرها شعراء العربية على الرجز المشطور كما قصروا الرجز على نظم العلوم كالألفية والجوهر المكنون ، والتاريخ كمنظومة ابن عبد ربه في أمراء بني أميـــة ، والقصص ككتاب كليلة ودمنـــة ، والصادح والباغم . وينبغي أن يسري هذا الضرب من التقفية الى أبحر الشعر الأخرى حين تعالج الموضوعات الواسعة . فهـــذا الذي سنى لشعراء الفارسية

وغيرهم أن ينظموا عشرات الآلاف من الأبيات فى قصة واحدة أو كتاب واحد

وقد اخترت وزن الرمل ليُسره وخفّته واقتداء بجلال الدين فى المثنوى ومحمد اقبال فى بعض كتبه ولا سيما أسرار خودى ورموز بى خودى

— ٤ —

ثم التفعيلة الثالثة فى الرمل تأتى تامة (فاعلاتن) ومقطوعة (فاعلاتْ) ومحذوفة (فاعلا) . والقافية المزدوجة تجعل كل شطرين متفقين فى الروى منفصلين بعض الانفصال عن غيرها . فينبغى أن يسوّغ الجمع فى المنظومة الواحدة بين أبيات على فاعلاتن وأخرى على فاعلاتْ أو فاعلا تيسيرا للناظم . ولكن الجمع بين فاعلا ، وفاعلاتْ حسن لا عيب فيه لأن الحرف الأخير فى فاعلاتْ لا يأتى إلا بعد مدّ . وبهذا المدّ يتم الوزن فيأتى الحرف بعد المدّ نهايةً للصوت فلا يشعر المنشد باختلاف النغمة بين فاعلا وفاعلاتْ . مثال هذا البيتان الآتيان :

رُبَّ معنى فى ضمير يكتَمُ   ليس فى الناس عليه محرمُ
وقلوب رمسها هذى الصدور   أترانى مسمعاً من فى القبورْ

البيت الأول بنى على فاعلا ، والثانى على فاعلات لكن الراء فى كلمتى الصدور والقبور واقعتان بعد مد فتأتيان فى نهاية الصوت كأنهما لا تحسبان فى وزن البيت . وليس الأمر كذلك فى الجمع بين فاعلاتن وغيرها ، فى البيتين الآتيين :

كان لى الليل مداداً فنفدْ   وطنى قلبى بمدّ بعد مدّ
جاشت الظلماء موجاً بعد موج   وغزانى الوجد فوجاً بعد فوج

إذا سكّنت الجيم فى موج وفوج يبنى البيت على فاعلاتْ فتجده قريباً جداً مما قبله . وإذا حركت الجيم يبنى على فاعلاتن فيبعد عما قبله بعض البعد . فينبغى أن يجتهد الناظم ألا يجمع بين فاعلا أو فاعلاتْ وبين فاعلاتن فى منظومة واحدة رعاية لانسجام النغمات

وإنى أدعو أدباء العربية الى العناية بهذا المثال الذى أقدمه فى المعانى والقوافى ليقبلوه على بينة أو يردوه بالحجة . والله ولى التيسير

***

أيها الليــل إليك المفزعُ   كم حنت منك علينا أضلع
كم خفينا فى غيابات الدجى   وملأنا الليــل هماً وشجى
كم أَلِفتُ الليل أماً حانيه   وكرهت النجم عيناً رانيه
كم ألفت الليل وحشاً راقبا   فى شعاع الصبح سهماً صائبا
كم بثثت الليل سراً كتِما   فوعاه الليل عنى ألما
كانت الظلماء لوحاً للألمْ   خطّتْ الآهات فيه كالقلمْ
كان لى الليل مداداً فنفد   وطنى قلبى بمدّ بعد مدّ
جاشت الظلماء موجاً بعد موجْ   وغزانى الوجد فوجاً بعد فوجْ
فنيت هذى وهـذا زاخرُ   وانجلت هذى ، وهذا غامرُ
خلتنى فى الليل جمراً سُعّرا.   ونجوم الليل منه شررا
إرَة قد وقدت فى أضلعى(1)   وسحاب هاطل من أدمعى

***

كنت سطراً لم يفسره أحدْ   خطّه فى غيبه الله الصمد
فى ضميرى كل معنى مُنبَهِمْ   حرت فى الاعراب عنه بالكِلم
قد ثوى العالم فى قلبى وما   خطّ شىء فيه إلا الحرف «ما»(2)
جلّ قلبى أن أراه جامَ جم(3)   صُور الأقطار فيه تنتظم
إنما الأقطار فى قلبى العميدْ   أحرف أوحت إلى معنى بعيد
ربّ معنى فى ضمير يكتمُ   ليس فى الناس عليه مَحرَمُ(4)
وقلوب رمسها هذى الصدورْ   أترانى مسمعاً من فى القبور(5)
أنا فى الناس فصيح أعجمُ   ناطق فيهم كأنى أبكم
صمّت الآذان عن هذا البيان   ضاع فى ضوضائهم هذا الأذان
كيف يجدى القوم هذا النغمُ   وعلى الآذان ران الصممُ ؟
كيف يجدى القدح فى هذا الحجر ؟   قلبه رخو خلىّ من شرر
إن خفق القلب قدح مُجهِدُ   بعضه يورى وبعضٌ يصلد
كيف يجدى النفخ فى هذا الرمادْ   طفىء الجمر ولم تور الزناد

(يتبع)

عبد الوهاب عزام

(1) الارة جبل النار
(2) يعنى لم يكن العالم فى قلبه إلا نفياً
(3) جام جم أو كأس جشيد فى خرافات الفرس كأس كانت ترى فيها الأقاليم السبعة
(4) المحرم هنا الأمين على السر كما يؤتمن المحرم من الأقارب على الحرمات
(5) إشارة الى الآية : وما أنت بمسمع من فى القبور

فن القصـــة
فى الأدب المصرى الحديث

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

للأستاذ هلال أحمد شتا

ويلاحظ المتتبع لتاريخ القصة المصرية أن ثلاثة من كتابها الأفذاذ قد تنحوا عن الجهاد فى سبيلها أو كادوا ، وبقى واحد فرد يحاول ما يستطيعه الواحد الفرد . . فلقد أقبل هيكل على ميدان آخر يشحذ له قلمه وحسه ، هو ميدان الصحافة والبحث العلمى والدينى والسياسة ، وانهمك أبو حديد فى عمله التعليمى ودراساته التاريخية ، وذهب تيمور مذاهب أخرى فى الدراسة والأدب . . . ثم بقى المازنى بعد ذلك يسير فى طريقه سيراً هادئاً ، ويخص القصة ببعض عنايته ، بقدر ما تنحت أعماله الصحفية ، وما أفسحت لفنه من مجال قصير

ولقد كان هذا مما أوقف القصة المصرية العربية الناشئة موقفاً نشفق منه عليها ، وما زالت فى عهد الصبا تنشد الرعاية والعناية ؛ ولكن فريقاً آخر من الشبان قد أقبل يمد لها يداً مباركة نرجو أن تدفعها إلى عهد الشباب قوية سريعة الخطوات

ومن بين هذا الفريق ثلاثة نلمح فيهم استعداداً كثيراً ، وفناً غزيراً ، وهم : محمود البدوى ، وشوكت التونى ، وطاهر لاشين

فحمود البدوى ، الذى عرفناه مترجماً للقصة الروسية القصيرة على صفحات الرسالة الغراء ، قد آنس فى نفسه قدرة على الكتابة ألهبت شغفه وشحذت عزيمته ، فاذا هو يدفع إلى ميدان القصة كتابيه « الرحيل » و « رجل »

والذى يعرف البدوى فى هدوئه وصمته ، وبعده عن مجالات الأدباء والكتاب ، قد يستولى عليه عجب ، حين يرى اهتمام الكتاب بأمر كتابيه وتهافتهم على نقدهما وبحثهما . . ولكن الذى يعرف البدوى من ثنايا سطوره ، لا يرى عناء كبيراً فى أن يعرف الدافع الشريف الذى حمل هؤلاء الكتاب على العناية بفنه وأدبه

وقد تتلمذ البدوى على المدرستين الروسية والانجليزية ، فكان مزاجا منهما معاً ، ثم أضاف الى ذلك شخصيته التى استقل بها ، فكان قصصياً موفقاً . وأميز صفاته أنه مخلص لفنه إخلاصاً شديداً حتى ليكاد يعجز عن أن يزاول سواه ، لأنه استغرق كل تفكيره واستبد بجميع جهوده ، وسيكون لنا منه من يسد فراغاً عزيزاً

وشوكت التونى قصصى موهوب ، وكاتب قادر ، غير أنه كاد يسيء الى فنه إساءة بالغة ، حين صمت عن الكتابة صمتاً غير محمود ، متفرغاً لدراساته القانونيـة وقضاياه . . ولو لم يغمره — منذ قريب — نشاط أدبى نعرفه ، لفقده عالم القصة آسفاً أسفاً شديداً ، لأنه يعرف فيه ما يدفعه الى التشبث به .. وقد يمحو آثار صمته الطويل أنه أقبل اليوم قوياً بدراساته وميله بعد انقطاع عن الفن الذى يحبه ويقدسه .. وسوف لا نغفر له — بعد ذلك — صمتاً أو تحولاً . لأن الفن الذى فقـد رجاله أو كاد ، فى حاجة شديدة الى الشباب يشد أزره

وطاهر لاشين قصصى مصرى بديع التكوين ، قد بلغ بفنه وأدبه منزلة جليـلة ، ومجهوده فى سبيل القصة المصرية كبير ، وأسلوبه العربى سليم أنيق ، نقى البيان لا يحب الاسفاف ، ونأمل فيه خيراً كثيراً . . ونشكر له ما أسـدى . . وما سوف يسدى إن شاء الله

* * *

أولئك وهؤلاء هم المحسنون إلى القصة المصرية إحساناً محموداً الجديرون بالذكر والشكر والاعتراف بالجميل . . . ولكن طائفة كبيرة ، غير محدودة ولا محصورة ، قد أقبلت منذ سنوات ترمى القصة المصرية العربية بالاساءة المرذولة ، وتفتح فيها فتحاً قديراً على أن يهلكها ويحطمها تحطيماً . .

وهؤلاء الذين يتخذون من كتابة القصة تجارة ورزقاً ، ويسوقون إلى الميدان كل يوم عملاً جديداً ، قد فقد نتاجهم كل فن أو طرافة أو توفيق ، ولكنه لم يفقد القراء أو الضالين من المتأدبين ، وهذه هى الاساءة التى تؤلمنا ألماً مراً وتحز فى صدورنا حزاً موجعاً . .

نعم . . فقد استطاع بعض هذا النفر ، أن يجعل من نتاجه المشوش مدرسة يسير تلاميذها على طريقته الملتوية التى لا تؤدى

إلى فلاح ، فأفسد بذلك الذوق الأدبى ونال منه ، وألحق بالفن خسراناً مبيناً

والذى يقرأ اليوم هـذه القصص التجارية التى تحفل بها المجلات والكتب ، ناشداً منها تسلية أو اتلافاً للوقت ، لا شك يخرج من قراءته وقد خسر وقتاً حقيقاً بألا يمغر ويعبث به ، ويتأثر — بعد ذلك — بما قرأ تأثراً قد ينال من تفكيره ، وقلمه ، وذوقه جميعاً

ولسنا نقصد بالقصة التجارية القصة المترجمة وحسب ، بل إننا نقصد المترجمة والموضوعة على السواء ، لا بل ونعنى الموضوعة باهتمام خاص .. فلقد سار كتابها اليوم على طريق لا ندرى إلى أية هاوية تصل بهم وبقرائهم ، حين أدخلوا فى قصصهم نوعا من الأسلوب نستطيع أن نسميه « أدبا خليعاً » ، وهو مزاج من العامية الرخوة ، والعربية المهدمة ، والفرنسية التى يتحدث بها خليعات النساء

هذه هى المحنة التى تهدد اليوم فن القصة فى مصر ، وأعترف أنى عاجز عن أن أصف لها دواء ، فلا أقل إذن من أن أدعو الأدباء والكتاب إلى أن يعلنوا عليها حرباً عواناً تقتلها أو تخرجها عن ميدان الأدب خاسرة ...

***

ولا يمنعنى هذا من أن أضع أمام أعين الشباب مثلا للقصصى كيف يكون ، عسى أن أبلغ بهذا الذى أقول أملا طالما نشدته وسعيت اليه ، وهو أن يقبل الشباب على ما يستأهل العناية ، وأن يعرض عما يصل بذوقه الفنى والأدبى إلى هاوية ليس لها من قرار ..

وأعتقد أن القصصى يجب أن يكون جامعاً لجوانب خمسة ، غير فاقد منها شيئاً

وأول هذه الجوانب : أن يكون عربى اللفظ والأسلوب ، أديباً قوى البيان مشحوذ القلم واللسان ، وأن يكون حريصاً على عربيته معتزا بها عاشقا لها أميناً عليها

وثانيها : أن يكون فناناً بطبعه موهوباً ، قادراً على تصوير كل ما يحيط به وبأبطال قصصه من أجواء الطبيعة ومشاهدها وكل ما يغمر نفوسهم من شعور ، أو ينتابها من أحاسيس ، أو يتكون فيها من عواطف .. وكل ما يجول بأذهانهم من خواطر ، أو يحتدم فى صدورهم من رغبات

وثالثها : أن يكون على حظ من الثقافة موفور ، واسع الاطلاع مجرباً ، قد لمس بيديه كثيراً من الحقائق ، وأوغل بنفسه فى جوانب الحياة وحواشيها

ورابعها : أن يكون متنبه الحواس يقظاً ، مغذياً لميله الفنى ، سائراً فى ذلك على نهج قويم ، لأن الميل الطبيعى لا يورق ويؤتى ثماره بغير مران وتنمية ، والفن الجميل يقوم على عمادين من الدراسة والميل ، ولا يقوم على واحد منهما . .

وخامسها : أن يتميز بشخصية مستقلة ، وأن يكون ذا خيال واسع لا يضيق أمام قلمه وبيانه ، وما ينشدانه من بلوغ إلى بعض الحقائق . .

***

والقصة التى يكتبها كاتبها فى أسلوب عربى مبين ، والتى تحمل إلى قارئها صوراً صادقة — طبيعية ونفسية — والتى تترجم دقائق الحياة وبسائطها فترفع للذهن قطعة من صميم الوجود ، والتى يفيض من بين سطورها جمال يهز مشاعر عشاق الجمال ، والتى تنتصر فيها حقائق على حقائق ، هى القصة الكاملة التى نريدها . والتى نرجو أن يوفق إلى إخراجها منشئو الجيل الجديد ..

***

وبعد — فقد بلغت بحمد الله نهاية البحث ، بعد أن تراقصت أمام عينى الخواطر والأفكار ، وأرجو أن أكون قد ذهبت فيما قلت مذهباً حقاً ، لا يخاصم العرف الأدبى الذى كسبه الذوق الحديث من بلاغة أبناء العرب وتراثهم الفكرى ، ومن دراسات جديدة وفق فيها أبناء الغرب توفيقاً عظيما ..

وهذا تاريخ موجز للقصة المصرية العربية ، وما أثر فيها فأحسن إليها أو أساء إلى يومنا هذا .. فأما مستقبلها فأخشى أن يذهب بها إلى موضع لا يرضاه المصريون أو الشرقيون . وأرجو — من الأعماق — أن تجد القصة من يرفعها وينهض بها ، وهو أمر ليس باليسير ، وإنما يحتاج رجالاً أشداء عاملين مخلصين . . ولسنا — والحمد لله — فقراء من الرجال . .

هلال أحمد شتا

سكرتيرية مجلس الشيوخ

الخيال

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

الخيال — وهو القدرة على انتزاع شتى الصور من الواقع المشاهد واستحضارها في الذهن في أي وقت ، والتصرف فيها على مختلف الأشكال والأوضاع — عنصر من أهم عناصر الأدب مهما اختلفت أنصبة الأدباء منه ، وهو أساس التشبيهات والمجازات ، ولولاه لالتزم الفكر الانساني الواقع المتحجر أيما التزام

وللخيال في الأدب وظائف شتى : فالخيال الصحيح يعين الأديب على إبراز الحقائق بشتى الوسائل ، ويقدره على سبك موضوعه سبكا فنياً لا شذوذ فيه ، وعلى نبذ ما لا حاجة به اليه من تفصيلات قد تشوه ما هو بسبيله ، ويساعده على إضفاء ثوب من الجمال على ما ينشئ

وللخيال يد طولى في الأدب الانجليزي ؛ فالأديب الانجليزي غزير العاطفة ، إذا جاشت أطلق لها العنان واسترسل مع خياله ، وأثار به منظر طبيعي أو غناء طائر أو ذكرى طارئة أو أثر من آثار الغابرين أو أسطورة من أساطيرهم ، أو غير هذا وذاك كله ، شتى الخيالات والأحلام والأطياف ، وتناهت به عاطفته إلى حدود الأماني وآفاق الماضي والمستقبل ، وهذا الاسترسال للخيال إذا أثارته فكرة رئيسية هو مرجع وحدة القصيدة في الانجليزية

وهناك عدا هذا الخيال المنبث في كل مناحي الأدب أغراض خاصة من الأدب قوامها وهيكلها الخيال ، يجمع أطرافها وينهض بكيانها ، ويوثق وشائجها ، وهذه هي الملاحم الطوال في الشعر والقصص الممثلة أو المقروءة شعراً أو نثراً ، ففي هذه لا يلتزم الأديب الواقع المجرد ، بل يفترق عنه افتراقا جسيما ، ويصوغ من شتى أفكاره وتجاريبه وأمانيه عالماً يجيش بالحياة والحركة ، ويموج بالعواطف والنوازع ، ويفيض بالجمال والامتاع

والأدب الانجليزي حافل بهذه الضروب القائمة على أساس من التخيل المحض ؛ فهناك ملاحم ملتون وهاردي ، وفيها يستعرض كلٌّ من الشاعرين مشاغل عصره ويبحث آراءه وينفث لواعج نفسه ؛ ومن طبيعة أشعار الملاحم أنها تعج بالمردة والجبابرة والآلهة ، وتحفل بخوارق الأعمال وجسائم البطولة ، وهي على رغم هذا كله لا تخرج عن عالمنا الانساني ولا تغفل النفس الانسانية ، بل تظل نوازع تلك النفس ومشاغلها هي الهدف الوحيد الذي يرمي اليه ناظموها ، إذ فيها يتخذ أولئك الأرباب والجبابرة طبائع الناس وميول الأفراد وإن فاقوا البشر قوة وعظما ، ومن هنا يتأتى للشاعر أن يبسط آراءه في ميدان متسع وإلى مدى فسيح ، فالخيال هنا لا يعدو الحقيقة ، وإنما يوضحها أحسن توضيح ، فضلا عما يمتع النفس به من قصص متسق وجمال وجلال

وفي الأدب الانجليزي مالا يعد من قصص في الشعر أو النثر ممثلة ومقروءة . وقوام القصة بطبيعتها الخيال ، وإن تراوح نصيبها منه ؛ فهناك القصص الواقعية التي تلتزم الحقيقة إلى أكبر حد مستطاع وتصور المجتمع الحاضر تصويرا دقيقاً ، كقصص هاردي ودرامات جالزوردي ؛ وهناك القصص التي ترمي إلى أغوار الماضي وتدور حول عظيم من رجال التاريخ أو الأساطير ، من طَمُوح يبيع نفسه للشيطان ليعينه على مطامحه ، إلى دائن يتقاضى دينه من لحم غريمه ودمه ، كما في روايات شكسبير ومارلو وغيرهما ؛ كما أن هناك القصص التي تتطاول إلى آفاق المستقبل ، وفارس هذه الحلبة ولز

هذه الأغراض والأوضاع التي سداها ولحمتها الخيال غير ظاهرة في الأدب العربي : فلا قصص ولا ملاحم . والمقامات وأشباهها إذا زج بها في هذا المجال بدت هزيلة عجفاء تدعو الى السخرية ، فأولى بها أن تظل حيث أراد كاتبوها وقصدوا بها من غرض بعيد عن القصص . والأثر الوحيد الذي يعتد به — بل يفتخر به — في هذا الباب رسالة الغفران : ففيها من آثار الخيال ومتعاته ما لا نظير له في الأدب كله . على رغم اكتظاظها بأخبار الأدباء ومسائل الأدب والنحو

وفضلاً عن انعدام هذه الفنون الخاصة فان نصيب الأدب العربي عامة من الخيال ضئيل إذا قيس بنصيب الأدب الانجليزي

منه ، فالأديب العربى كان شـديد الحرص على الواقع يلزمه فى موضوعه وأفكاره ، شديد الاختصار فى مقاله وتعبيره عما يحس ، يعبر عن تلك الأفكار أشتاتاً كلما عنّ له حافز الى الكتابة ، لا يدخر أفكاره ولا يربط منها حاضراً بماض ، بل يرسلها على السجية أبياتاً محكمة النسج موجزة البيان . فالفكرة التى تخطر للأديب الانجليزى فيحوك حولها قصة تربط ما يتصل بها من أفكار ، وتنشئ حولها شتى الصور المنتزعة من الحياة ، يكتفى الأديب العربى بصوغها فى بيت شعر محكم يذهب مثلاً ثم « ينام ملء جفونه »

فكبح عنان الخيال هذا سبب انعدام القصص وكثرة الحكم والأمثال فى الأدب العربى . وهو كذلك سبب توسط طول القصائد وعدم تراوحها بين الملاحم الطوال والمقطوعات الصغار ، ثم هو سبب اكتظاظها بالأفكار لا يربطها رباط جامع من خيال وثيق

ولا ترجع ندرة آثار الخيال فى الأدب العربى إلى ضعف ملكته بين الشعوب العربية ، فان كثيراً من تلك الآثار تدووات فى العامية دون الفصحى بين الشعوب الناطقة بالضاد ، وإنما ترجع تلك الندرة الى التقاليد الجامدة الشديدة التى تسلطت على الأدب العربى لظروف خاصة سبقت الاشارة إليها فى كلمات ماضية : من محاكاة للأدب القديم — وهو نادر آثار الخيال لأنه أدب بدائى — ومجانبة للآداب الأخرى ولا سيما الأدب الاغريقى

وليس أدل على أثر الثقافة الاغريقية فى تربية الخيال من أن اطلاع العرب على جمهورية أفلاطون حدا ببعض فلاسفتهم الى محاكاته فى تخيل الدولة المثلى ، فكان من ذلك « المدينة الفاضلة » و « حديث حى بن يقظان » وغيرهما ، مما هو داخل فى موضوع الفلسفة لا الأدب ، فلو درس العرب أدب الاغريق دراستهم لفلسفتهم لكان ذلك أثره المحتوم

فالأدب الاغريقى حافل بالخيال البعيد المرامى ، ملىء بالعوالم الزاخرة بشتى العظائم والمحاسن ، واغتراف الأدب الانجليزى من مناهله هو الذى أمده بفيض من الخيال لا يفنى : وضّح أمامه مذاهب التخيل وأشكاله ، وأمده بالخرافات والأقاصيص العديدة تحاك حولها أعمال الخيال فى الشعر والنثر ، وتفعم بصور الجمال وترصع بالآراء النقدية والنظرات الثاقبة فى شؤون العالم وأحوال المجتمع ، وتلك لعمر الحق مادة الأدب وصميمه

أما الأدب العربى فظل الواقع قبلته والحاضر ديدنه ، وحين ضرب فى مرامى الخيال فى الغزل الاستهلالى والمكرمات المصطنعة ينسبونها الى الممدوحين والمرثيين إنما كان يفعل ذلك مطمئناً إنه يحذو حذو المتقدمين ولا يخرج عن الحدود المرسومة للأدب فى عهودهم ، فجاء ذلك الخيال غثاً ممجوجاً لا يتجاوز جانب الأوهام والتلفيقات الى جانب التعبير الصادق عن الحقيقة العميقة

وبينما أساغ الأدب العربى هذا الخيال الغث المتكلف نبذ ضروب الخيال المطبوع الصادق الذى يمت الى الحياة والذى هو عماد القصة النثرية والشعرية ، فترفّع عن ذلك تاركا إياه للعامة يروون به غلتهم ، تلك الغلة التى يشعر بها كل انسان وتنزع به الى القصص والى الخيال

فخرى أبو السعود

٦ – دانتي أليجييري

والكوميدية الإلهية

وأبو العلاء المعري ورسالة الغفران

تتمــــــة البحث

الأسراء والمعراج

اختلف المؤرخون ومفسرو القرآن الكريم في هذه الأساطير الكثيرة التي زخرف بها كل من حادثي الأسراء والمعراج ، ولم يشأ الثقات منهم أن يتورطوا في تصديق كل ما عُزِي الى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قاله ؛ ورجح بطلانَ هذه الأحاديث اختلافُ رواياتها بالزيادة والنقصان في مختلف كتب التفاسير والسِّيَر . وقد وقف منها الامامان — البخاري ومسلم — موقفاً حازماً فلم يُثبتا في صحيحيهما إلا هـذا الحديث المشهور القصير الخاص بزيارة جبريل للنبي وركوبه (ص) البراق ثم الأسراء به فمروره ببعض قوافل العرب ثم بلوغه بيت المقدس ، فصلاته بالأنبياء ثمة ، فعروجه إلى السماء الأولى وفيهـا فلان النبي وإلى الثانية وفيها فلان ، حتى يبلغ سدرة المنتهى

ولعل أقدم المصادر التي أوردت زيادات على حديث البخاري ومسلم ، ويبدو عليها أثر شديد من الصنعة والتكلف ، هي سيرة ابن هشام التي نسج على منوالها كتاب السير الآخرون . وقد رفض صاحب الكشاف أن يثبت في تفسيره شيئاً من تلك الزيادات ، ولكن مع الأسف الشديد ، تورط مفسرون أجلاء مثل الطبري والألوسي وابن كثير وغيرهم فرووا كل ما وضع الوضّاعون وزخرف المبطلون من حواشٍ وتهاويل عن الأسراء والمعراج ثم تركوا كل ما رَوَوْا من غير ما تمحيص ولا تزييف ، فكان عملهم تزكيةً صامتة لهـذه الترهات التي لم تنفرج شفتا الرسول عن حرف واحد منها

ولقـد بدا لنا ونحن نقارن ما جاءت به أسطورة المعراج الموضوعة بمـا جاء في كوميدية دانتي ؛ ولا سيا في الجزء الخاص بجهنم في كل منهما ، أن يكون هؤلاء الوضّـاع قد سطوا على خيال دانتي نفسه فانتحلوه لحادث المعراج ، ورَوَوْا ، وليتبوأوا مقعدهم من النار ، عن الرسول الكريم هذا الحديث الطويل عن فئات المجرمين الذين رآهم يتعـذبون بمختلف ألوان العذاب في دركات السعير ... خيـل إلينا أنهم سطوا على دانتي ، ولكنا عدنا فوجدنا هؤلاء الوضاع يسبقون دانتي بمئات السنين ، فأسقط في أيدينا ، وأوشكنا نقر القائلين بأن دانتي تأثر في كوميدياه بأسطورة المعراج الملفقـة ، بعد إذ نفينا ذلك ، وهنا ، رأينا المخرج صـعباً ، وفي فشل البحث الذي أخذناه على عاتقنا هوان علينا ؛ ولـكنا ما كدنا نلخص الجزء السادس من الأنيد للشاعر اللاتيني الخالد ڤرچيل حتى حصحصت الحقيقـة أمام أعيننا ، وحتى أيقنا أن كلا من دانتي ووُضّاع الأحاديث الملفقة عن حادث المعراج كَلٌّ على ڤرچيل وعيال على خياله الخصب وتصوُّره العميق

والمحققون من علماء المسلمين والمستشرقين على السواء على أن الترهات الكثيرة والزخارف الباطلة التي نقرؤها في غضون كتب التفسير (كالخازن وغيره) هي إسرائيليات انتقلت إلى الاسلام باعتناق بعض اليهود لهذه الحنيفية الغراء ، فهم عند ما قرأوا في القرآن أسماء أنبيائهم وبعض الحوادث المشهورة الواردة في كتبهم راحوا من تلقاء أنفسهم يقصون قصصهم الاسرائيلية على أنها إسلاميات يقرها كتاب الله وحديث رسول الله ، ومن هنا هذا البهرج الكثير الذي دخل على القصص الاسلامي ، ومن هنا أيضاً ضياع الحقيقة بين ما قال الرسول الكريم وما لم يقل

على أننا لا ندري لماذا يكون كل ما دخل على الرواية الاسلامية اسرائيليا ولا يكون أشمل من ذلك ؟ لم لا يكون هنديا مع من اعتنق الاسلام من الهنود ، ومصريا مع من اعتنق الاسلام من المصريين ، وفارسيا مع الفرس وأشوريا مع الأشوريين ويونانيا مع اليونان ، ثم لم لا يكون لاتينيا مع من اعتنق الاسـلام من أمم البحر الأبيض المتوسط ، وفيها أسبانيا وصقلية وجزر كثيرة من جزر هذا البحر ؟ !

لقد ازدهرت الثقافة الاسلاميـة في فارس والعراق والشام

ومصر وتونس والمغرب والأندلس وصقلية ، بل هي كانت تمتد إلى أبعد من ذلك ، إذ أثبت المحققون أنها كانت تغزو فرنسا وسويسرا وبعض المدن الايطاليــة ، ولم تكن ثقافة إسلامية بحتة ، بل كانت خليطاً عجيباً من أشتات الثقافات ، كانت مزيجاً أقله إسلامي وأكثره محلي بحسب الأقليم الذي تتفشى فيــه .

ومن الارهاق أن تفرض الثقافة الاسلاميــة نفسها على الأمم المغزوة دون أن تتأثر هي بثقافات تلك الأمم ، ونحن نعلم أن رومة حينما فتحت أثينا عسكريا كانت أثينا تتوثب لفتح عدوتها ثقافيا ، وقد تم لهــا ذلك بأسهل مما تم الفتح العسكري لرومة فأصبح الأثينيون أساتذة للرومان في بضع سنين ، ولم يبدأ العصر الروماني الذهبي بالفعل إلا بعد أن تلقحت أذهان الرومان بهــذا اللقاح اليوناني العجيب

والمسلمون أيضاً . فعصرهم الذهبي لم يكن عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولا عصر الخليفتين أبي بكر وعمر ، ولا عصر معاوية أو عبد الملك بن مروان أو الوليد بن عبد الملك ، بل كان ذلك في عصر هرون وابنــه المأمون في الشرق ، وفي عصر عبد الرحمن الناصر في الغرب . أما العصور الاسلامية قبل ذلك فقد كانت عصور دعوة وجهاد في سبيل الله وتعليم المسلمين الجدد تعاليم الدين الجديد ، فلما استقر له الأمر في البلاد المفتوحة جاء دور الحضارة وجاء دور التفكير الهادئ ، وجاء دور التلقيح للذهن الاسلامي بثقافات الأمم المختلفة التي دخلت زرافات في دين الله ، فأثرت في الآداب الاسلامية كما أثر الاسرائيليون سواء بسواء

وقد رجعنا الى عشرات من المصادر علنا نوفق الى أصــل لأحاديث المعراج الملفقة في المــائة سنة الهجرية الأولى فلم نهتد الى شيء منها ، وأكبر ظننا أنها لم تكن قد لفقت بعد ، وأكبر ظننا أيضاً أن الأمم اللاتينية لم تكن قد تحرشت بالمسلمين في هذه الفترة ... أما بعد أن عرفت هــذه الأمم الاسلام والمسلمين فقــد راجت السير عن المسلمين وعن نبي المسلمين وعن الفتوح الاسلامية ، وقد ازدحمت هذه السير بالأخيلة الرائعة والقصص الممتع الجميل الذي يستحيل أن يكون إسلاميا بحتا ، لأن نظرية رومة (فتحت أثينا عسكريا وأثينا فتحت رومة ثقافيا) لابد أن تنطبق على المدينة من جهة ، وعلى فارس والشام ومصر والأندلس من جهة أخرى . وما أشبه الرومان بالعرب وما أشبه الأعاجم بالأثينيين في تلك العصور السحيقة المتقادمة !

ولسنا نزعم أن وضاع الأحاديث الملفقة عن حادث المعراج قد انتحلوا ما جاء في الأنيد اعتباطاً ، بل هم انتحلوه كما فعل الأسرائيليون حينما انتحلوا كل ما جاء في كتبهم أو أكثره فزوقوا به القصص الاسلامي . وإن مقارنة سريعة بين الجزء السادس من أنيد ڤرچيل وبين الروايات التي نسقها وجعل منها قصة المعراج العالم المسلم نجم الدين الغيطي (٩٩٩ هـ) [1] لتجعلك تتأكد صدق استنباطنا ، وتتفق معنا على أن الأدب اللاتيني ، ومنه أدب ڤرچيل ، قد صبغ ناحية هامة من الأدب الاسلامي لم تكن مزدهرة قبل ذلك . ولولا مخافة الأملال لسقنا لك هذه المقارنة ، فارجع أنت إلى الخلاصــة التي أعطيناكها في العدد السابق للكتاب السادس من الأنيد ، ثم ارجع إلى سيرة ابن هشام أو تفسير الطبري أو قصة المعراج لنجم الدين الغيطي تجد أننا لم نبالغ قط في كلمة مما قلناه

صور تأثر بها دانتي من القرآن الكريم

كانت هزائم المسيحيين المتوالية في الحروب الصليبية والتي انتهت بفشل هذه الحرب تذكي نيران البغضاء والحنق في قلب دانتي على الاسلام والمسلمين ، وقد رأينا كيف بلغ به عتهه وضيق عطنه أن زج بالرسول صلى الله عليه وسلم وبابن عمه علي وبالسلطان صلاح الدين في جحيمه ، وكيف جعلهم مع الفجار وأهل الفسق والمهرجين في درك واحد . وليس معقولاً أن تنتهي هذه الحرب دون أن تكون لهــا نتائجها من احتكاك الأذهان بين الشرق والغرب ومن إلمام الغرب بشطر كبير عن الاسلام ونبي المسلمين وكتاب المسلمين ، والذي يتلو ما جاء في السور المكية من نذير شديد وأوصاف ممتعة لجهنم ودركاتها لا سيما في سور الأعراف والصافات والواقعة وجزء عم يروعه تأثر دانتي بالقرآن الكريم فيما ذكره في الـ Inferno (الجحيم) ، فبرغم وثوقنا من أنه سار على درب فرجيل في الجزء السادس من الأنيد في هذا الجزء من كوميدياه إلا أننا ندهش لكثير من وجوه الشبه بين ما جاء في جحيمه وما جاء في القرآن من وصف جهنم وأهلها . ونحن

(١) طبعة بولاق منذ ستين سنة

نحيل القارئ هنا أيضاً على السور التي ذكرنا وعلى الملخص الذي عملناه لجحيم دانتي

ولا ريب أنه تأثر أيضاً بالقرآن الكريم في فردوسه ، ولكنه أثر غير عميق ، إذ كان ينهج في جنته منهاج فرجيل في الأنيد ، ويحسبنا ما قدمنا من خلاصات

دانتي والأدب اليوناني

المشهور عن دانتي أنه لم يكن يعرف اليونانية ، ولكن هذا لم يمنعه من الاطلاع على الأدب اليوناني اطلاعاً وإن يكن أبتر قليل الغناء إلا أنه كان ذا أثر كبير في تكوينه الأدبي . ومما لا شك فيه أن دانتي قرأ ما قرأ من أدب اليونان في التراجم التي قام بها مواطنه الشاعر الكبير أوفيد Ovid تلك التراجم الخالدة التي حفظت لنا جانباً كبيراً من أساطير الأغريق وتراثهم الأدبي . ولعل رحلة هرقل ورحلة أرفيوس الموسيقي [(1)] إلى الدار الآخرة كانتا ذواتي أثر كبير أو قليل في دانتي حينما كتب كوميدياه ، ففيهما وصف بارع للجحيم نسج على منواله فرجيل في الأنيد

دانتي ورؤيا يوحنا اللاهوتي والأدب المسيحي

وإذا كان دانتي قد تأثر بكل ما ذكرنا من هذه الآداب المتفرقة ، فما لا ريب فيه أنه تأثر بالأدب المسيحي عامة ، والعهد الجديد خاصة ، ونخص من العهد الجديد آخر أسفاره (رؤيا يوحنا اللاهوتي) ، فهي رؤيا جميلة حقاً ، وفيها من ألوان الخيال (الخيال الأدبي طبعاً) شيء كثير ، ونحسب أن دانتي قد اقتبس الفصل الخاص ببحيرته في جحيمه من نفس المنظر الخاص بالبحيرة في هذه الرؤيا ، بل نحسب أن الوُضّاع الذين لفقوا أحاديث المعراج الموضوعة قد دسوا هذا المنظر في أسطورتهم من رؤيا يوحنا نفسها . بيد أنه ينبغي ألا نغالي في مقدار تأثر دانتي بهذه الرؤيا كما ذهب اليه بعض إخواننا من الأدباء المسيحيين بل ربما كان تأثر دانتي بأخيلة القرآن (نقصد دائماً معنى الكلمة الأدبي) أبعد مدى من تأثره بأخيلة الأنجيل ، لأن القرآن وصف جنة النعيم وشقاء الجحيم بما لا يسمو اليه خيال شاعر مهما تفنن وأبدع ، ولأن دانتي كان يرد بكوميدياه على أعدائه خاصة وأعداء المسيحية من المسلمين في زمانه عامة ، ولذا كان يحسب أنه يحارب بسلاح أعدائه

خاتمة

هذا ما عن لنا أن نقول في دانتي وأبي العلاء ، وشتان بينهما ! شتان بين أعمى المعرة الساخر الملحد الفيلسوف المتفنن القانع بالعدس والفول والتين والخيار من لذائذ الدنيا الحائلة ، وبين دانتي السني المتدين المتعصب للكنيسة ولو أذلت رومة وطنه ووضعت أنف فلورنسا في التراب ، الساخط على مواطنيه لأنهم حرموه المناصب التي تدر عليه العسل واللبن ، المتبرم بزوجه ، الناقم على أطفاله ، المقلد لغيره في كل خطوة من قصيدته

ليس ضيرا إذن على أبي العلاء ألا يكون دانتي قد قلده ونسج على منواله ، بل الضير كل الضير هو في مقارنة قصيدة دانتي برسالة أبي العلاء ، فلقد كان دانتي عالة على ڤرچيل في الكوميدية الآلهية كما شهدنا ، ولكن أبا العلاء لم يكن عالة على أحد ، بل كان الشاعر ذا الخيال الخصب والفكر الجبار والقلب المتمرد على الأديان وما تقول به من جنة ونار . هذا ولا ننكر أن أبا العلاء كان خاضعاً في رسالته لتداعي المعاني كما ذكرنا في الكلمة الأولى من هذا البحث ؟

د . خ

(١) نكتفي بتوجيه القارىء إلى هاتين الأسطورتين إلى النصف الأول من السنة الثالثة في الرسالة خشية الاسهاب

توكيـــد الذات

للأستاذ أديب عباسي

لمحت فى ذات صباح ، وأنا فى الشمس انفض عن نفسى بقية من ليل ، هرًّا مهزولا يسير متوجِّسا متسرِّقا على مقربة منى ؛ ولم يطل بهذا الهرّ ارتيابه وتوجُّسه ، وتحقق له سوء ظنّه بكلاب الحى ، إذ لم يمض إلا قليلا حتى أقبل عليه من إحدى الجوادّ القريبة كلب بطِر شديد الجاب شديد العزم على أذيته ، كأن له ترة قديمة عنده وحسابا ينوى وفاءه

وأدرك هرُّنا أىَّ شىء لا بدَّ لاحقٌ به ، وأدرك كذلك أن الهرب ليس بمنجيه ولا مخلِّصه من هذا الذى أخذ عليه الطريق وسدَّ المهرب . فاستدار فى الحال وازبأرَّ وهرَّ هريراً وأبدى عن أنيابه ، وأثار بالخصم بصره ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، وتنفّش شعره ، وتقوّس ظهره ، وشال ذنبه ، ووقف يتحفّز

ولم يفت كلبنا المعتدى مغزى ذلك جميعاً ، ووقف تلقاءه يرمقه ويروزه ببصره مليًّا ، حتى إذا بدا له أن الهجوم من الناحيـة الأمامية — وقد حصنتها مخالب مرهفة وأنياب حديدة — قد لا يخلو من خطر أكيد ، انفتل منسلاً كدأب الـكلاب ، وباغته من الخلف مباغتة استطار لها لبّه وانخلع قلبه . وأقبلت كلاب الحى تتعاوى من بعيد ومن قريب ، وكلها فى البغى والاثم سواء ، فكأنها وكأنه ما عناه الشاعر حين قال :

تكاثرت (الـكلاب) على خراش فلا يدرى خراش ما (يصدُّ)

وهممت عندها أن أقوم وأنجد هرَّنا المسكين وأذبّ عنه هذه العرجلة الباغية من الـكلاب ، إلا أن هرَّنا لم يدع لى لأتدخل ، وحلَّ الاشكال بطريقة مسدَّدة من إلهام الطبع ، وهداية الغريزة ، واستعداد الفطرة ، إذ عمد إلى هذه الـكلاب يستلُّ سخيمتها ويزيل شرَّتها بالاستسلام لها والـكف عن قتالها ، ولسان حاله يقول :

ولو كان « كلبا » واحدا لاحتملته

ولـكنه « كلب » وثان وثالث

ولم تنتظر الـكلاب منـه حركة كهذه ، فوجمت حياله تفـكر ماذا هى صانعة بعد الذى رأت من استسلامه وانقطاعه عن كل مظهر من مظاهر الخصومة والدّفاع ، وكأن كلابنا فهمت عنه ما أراد وفطنت إلى مغزى حركته تلك ، وأدركت دلالتها ومعناها ، فابذعرّت قانعة بما هيأ لها هرنا المغلوب من معانى الفوز والغلب ؛ وقام هرنا وسار لطيّته يرهف سمعه ويقلِّب بصره ذات اليمين وذات الشمال ، ويُعدُّ نفسه مرَّة ثانية لتمثيل الدور نفسه إذا أحوجه الأمر

***

وفـكرت ملياً فيما شهدت وطفقت أسائل نفسى : أنحن هنا أمام ظاهرة خاصة من ظواهر الحياة قاصرة على الـكلاب وخلافها من ذوات الظفر والناب ، أم نحن أمام ظاهرة عامة شاملة من ظواهر الحياة تشمل الانسان والحيوان جميعاً ويخضع كافة الأحياء لحكمها وقيودها ؟

ولم يطل أمد الهجس والارتياب ، وأيقنت بعـد القليل من التدبر أنها حالة عامة شاملة كأعم وأشمل ما تـكونه حال من أحوال الحياة وظواهرها

وتسأل : ما تلك الظاهرة ، وما طبيعتها ؟ ولا نطيل فهى مما وصفنا ورأيت ما يمكن أن ندعوه « توكيد الذات » وإبراز الشخصية . فـكلبنا المعتـدى الأول لـما هاجم الهرّ بلا عداوة سابقة أو حقـد قديم ، إنما فعلها ليتثبت من قدرة نفسه وحدة أنيابه وقوة عضله ، وليؤكد لنفسه أنه ذو غلبة وبطش ، ومثله فى ذلك الـكلاب الأخرى ، وعليه لـما رأت الهر يتخاذل ويتنازل لها جميعاً عن كل حق من حقوق توكيد الذات غادرته ولم تؤذه

وأنت ترى مما أثبتنا هنا من عمل الـكلاب أن هذا الدافع إلى توكيد الذات فى الحيوان دافع فطرى غريزى لايخرج بمجمله عن معنى القتال المباشر الذى تمارسه جميع الحيوانات على اختلاف طفيف بينها فى أساليبه وطرائقه

أما فى الانسان فيتخذ هذا الدافع من توكيد الذات وتقريرها شتى المظاهر ومختلف الأشكال والصور ، ولن تخطىء مظاهره — فى لون من ألوانه — فى الطفل واليافع والشاب والشيخ جميعاً والطفل يبدأ سلوكه يتأثر بهذا الدافع من العام الأول فى

عمره، وكلنا يعرف جيداً ما هي الأساليب التي يصطنعها الصغار لينتبهوا إليهم الكبار ويستجلبوا رضاهم وتقديرهم، ومن هنا كان الفهم الصحيح للطفولة يوجب على المربين الانتباه الشديد لهذا الدافع والانتفاع به في توجيه الصغار توجيهاً صالحاً وتحريضهم على الاجادة والتبريز في حدود إمكانهم وكفاياتهم. وفي الحق ليس أقتل لروح الطموح في الطفل ولا أدعى لفشله من أن يغفل الآباء والمربون هذا الطور الدقيق في حياة الطفل ويتركوه وشأنه بلا تشجيع ولا استحسان حيث يُستحقان، أو يعكسوا الأمر عليه ويملأوا سمعه بالنقد ويقابلوا حماسته بالفتور وثقته من نفسه بالتشكيك والريبة. ولا نغالي إذا نحسب أن أكثر الفاشلين في الحياة هم ممن كانت طفولتهم نزاعاً بين إهمال الوالدين وقسوة المحيط وبين ما ركّب في نفوسهم وغرس في طباعهم من ميل جامح قوي لتأييد النفس وتوكيد الذات. وكم من طفل أعجزه أن يحوز رضى البيئة وتقدير الوالدين بأساليب مقبولة ووسائل سليمة، فراح بعدها يصطنع أغرب الوسائل وأخطرها في حاضر حياته وآتيها، كأن يعمد إلى نفسه يؤذيها أذى بليغاً أو يعمد إلى الغير يؤذيه مثل ذلك الأذى، أو كأن يعمد إلى الآنية يحطمها والثياب يمزقها ولسان حاله يقول: هوذا أنا أثبت كياني وأؤكد اقتداري وكفايتي بما ترون إن كان لا يعجبكم ولا ينبهكم الى إلا مثل ما تشهدون

وليس من المتعذر أن نتصور حال مثل هذا الطفل، إذ يشب، كيف تكون. وليس من الصعب أن نتبين في مثل هذه الأعمال الشاذة أولى بوادر الأجرام والخروج على النظام وأوضاع الاجتماع. يحكى أن افراد الشرطة في أمريكا ألقوا القبض، بعد لأي، على لص خطير اعتاد أن يتصدّى للقطارات ويسلبها، واقتادوه إلى قاعة التحقيق. وبعد استجواب سيكولوجي دقيق دهش المحققون إذ استبان لهم أن هذا اللص كان في طفولته وحداثته كأشد الناس حياءً وخجلاً. ولما سئل فيمَ إصراره على أعمال العنف والاجرام أجاب بأنه إنما يفعلها ليؤكد لنفسه أنه ليس من الحياء وخور العزيمة كالذي يحسُّ ويشعر

هذا ويجب ألاَّ يفوتنا أن معظم أنظمة التربية الحديثة مبنية على هذا الميل مستهدية به. فنظام الصفوف والمباريات والجوائز وما إليها من وسائل التحضيض والتشجيع تتهدّى هذا الميل وتستغله. وليس من السهل أبداً أن تستبدل بهذا الدافع للعمل والاغراء به دافعاً آخر من ميول النفس وأهوائها

ويشب الطفل فيجد نفسه بين الأمر الواقع من جد الحياة وبين هذا الميل القوي الذي لا يغفل ولا يهادن، ويجد نفسه بين العدد الذي لا يحصى من مثبّطات العزم ومفترات السعي وبين ما أجّج في نفسه وغرس في طبعه من حبّ الغلب وشهوة الفوز وبروز الشخصية. فاذا أسعدته الهمّة ولاءمته الظروف وسار سيرة ناجحة في الحياة نشأ نشأة بعيدة إجمالاً من شذوذ الطبع وغرابة الخلق وما يصحبها من شذوذ العمل وانحراف السلوك. أما إذا عاندته الظروف وخانته الكفاية فهناك ما تشاء من شذوذ الطبع وغرابة السلوك. ولدينا صنوف وصنوف ممن ينشأون هذه النشأة الشاذة في الحياة

فالمتقشفون هم إجمالاً نفر فشلوا في الحياة بعد أن خوّضوا فيها، أو قدروا الفشل قبل ذلك، فاختصروا على أنفسهم العمل ووقفوا في أول جادة الحياة وبداءة السعي دون أن يحاولوا مضياً في الطريق وزيادة في السعي. لقد أعياهم أن يغلبوا بيئتهم ويتغلبوا على ضعفهم، فانقلبوا على أنفسهم — وهي أهون شيء عليهم — وأحالوا عليها بالخصومة وأضنوها بالحرمان وتعوّضوا بخصومتها عن خصومة المحيط والأضداد من الخارج. ولسنا بالطبع نعزو إلى هذا العكس في ميول الاستعلاء ورغبة البروز وتوكيد الذات جميع نماذج التقشف وإنكار الذات المشهودة، إذ لا ريب أن من حوادث التقشف مالا يرجع في بواعثه الى فشل المرء في الحياة كالذي يُرى من تقشُّف أناس قد تهيَّأت لهم أسباب النجاح في الحياة وذاقوا لذات الفوز والغلب ولكنهم مع ذلك آثروا حرمان الذات ومطاردة اللذات. على أننا نعود ونقرِّر أن معظم حوادث التقشف هي في مجملها وسيلة العجز في تقرير الشخصية وتوكيد الذات

والحسد — كذلك — تعبير صامت واتجاه سلبي معكوس لدافع توكيد الذات. والحسد ينشأ ويتأصل في النفوس كلما تسامت مطالب المرء وبعدت غايته ثم أعجزته القدرة وعاكسه المحيط فلم يسم، عملاً وواقعاً، الى مستوى مطالبه. ومن هنا يحسب

الأخلاقيون وعلماء النفس أن الحسد ظاهرة عامة شاملة بين الناس إذ كان النجاح المطلق الذى يرضى عنده المرء عن كل شىء فى الحياة مطلباً صعباً وغاية لا يسمو اليها جهد بشرى . ويخيل الينا أنه لو يسر لامرئ من الناس كل أمانيه ومهدت فى سبيله جميع الصعاب ودمثت جميع العقبات وأنيل كافة ما تشتهاه النفوس وتصبو اليه، لفكر بجد وحرقة زائدة فى أن ينال كمنزلة الآلهة من خلود مطلق وعلم كامل وقدرة فائقة . ومرجع ذلك أن المرء بطبيعة تكوينه النفسى والفكرى مثالى يكره النقص أبداً ويتطلب المزيد والكمال ، والكمال لا حد له ولا انتهاء . وهذا لا ريب يفسر لنا لماذا ينسينا نجاحنا الكبير نجاحنا الصغير ، ولماذا ينسينا فشلنا الأكبر أبداً فشلنا الأصغر

والرجل الحساس هو الآخر صنف خاص من الناس فشل فى أن يؤكد نفسه ويرغم المحيط على اعتبارها وتقديرها بالقدر القائم له منها فى خياله ، فغدا — لذلك — سىء الظن بالناس كثير الارتياب لهم ، وصار لكل حركة من حركاتهم معنى الاجتداء عليه والانتقاص له والزراية به ، وغدا — كذلك — قليل الاحتمال دائم النفرة سىء التقدير

ومثل الحسَّاس — على اختلاف طفيف — الرجل الحيّ . هذا اذا فشل فى توكيد نفسه وتميز شخصه ، قام فى وهمه أنه امرؤ لا يصلح للعمل ولا يقوى على الجهاد ، فانزوى منطوياً على نفسه عاكفاً على همومه مجترًا لآلامه . إلاَّ أن بينه وبين الحسَّاس فرقَ أنَّ الحسَّاس يعالن الناس غالباً بما يقدِّر من سوء رأيهم فيه ويحتجُّ على ذلك ويدافع عن نفسه ، بينما الحيُّ فى غالب أمره لا يفعل شيئاً من ذلك بل يتجرَّع آلامه صابراً متحاشياً ، بقدر الامكان ، أن يجئ والناس بسبيل واحد . ومرجع الفرق هنا الى أنَّ الحسَّاس له رأى طيِّب فى نفسه بالاضافة الى ما يتصوَّر من سوء رأى الغير به ، بينما الحيُّ يسئ الظن بذاته ويعتقد أن الناس لهم فيه مثل رأيه فى نفسه

ينضاف الى هذه المظاهر المعكوسة من توكيد الذات مظهر آخر هو مظهر الاسراف فى الغرور وتقدير الذات . وهو ينشأ إذ يشبُّ المرء — لأسباب عدة من إساءة التوجيه — على اعتقاد قوى أنه امرؤٌ فوق الناس ، وأن من سخافة الأقدار وغفلة الزمان وجور البيئة أن يولد بين الناس ، يعيش كما يعيشون ، فيشقى كما يشقون وينعم كما ينعمون ويكتفى من الأمانى والآمال بمثل مايتمنون ويؤملون ، ويخيَّل إليك كأنه عاتب على ربه الذى خلق من الناس غيره ! !

هـذا وقد يتخذ الغرور مظهراً آخر غير مظهره العام حده التشدُّق بالكمال ونقد الزمان والتبرُّم بالبيئة ، ويسير فى اتجاه معاكس أو موارب كالذى يُرى فى نفرٍ من الناس لم يستطيعوا أن يفرضوا أنفسهم على المحيط ولم يستطيعوا أن يجاهروا بكمالهم ويعالنوا الناس بكفاياتهم واقتدارهم (كما يقدِّرون لأنفسهم) ، فانقلبوا — لذلك — صنفاً متواضعاً من الناس لا يهمهم — ظاهراً فقط — أن يتلبَّسوا حالات زريَّة وينتقدوا أنفسهم على مشهد ومسمع من الناس . وقد تغشُّ غير الفطن مثلُ هـذه المظاهر حتى ليعتقد الملاحظ السطحى الذى لم يسبر غور الأمور أن هذه المظاهر تصدر عن عقيدة صادقة بالنفس وإخلاص فى التقدير . إلا أنها مظاهر — على كل حال — لا تخفى على المتبصِّر الذى لا يخدعه ظاهر الاخلاص وجودة التمثيل . يحكى أن سقراط رأى فتى أثينياً موسراً يعتلى منصة الخطابة فى أسمال بالية وثياب مهلهلة ، فنظر فيه سقراط متفرِّساً زمناً ثم خاطبه بلهجة صارمة : أيها الأثينى الشاب ، إنى لأكاد أرى الغرور والكبرياء ينزَّان من اهابك ، ويطلاَّن من وراء كل خرق ورقعة من ثيابك !

تلك بعض المظاهر المسرفة لدافع توكيد الذات . وأما مظاهره الطبيعية التى لا إغراب فيها ولا شذوذ فتقع فى أشكال وألوان عديدة لا تقل عن مظاهر الشذوذ والغرابة

من ذلك هذا الميل العام الشامل لدى جميع الأمم والأجناس إلى التقسيم والتدريج وتأليف الطبقات يتميّز بعضها من بعض ويعلو بعضها بعضاً ، ثم هذا السعى الدائب والاشرئباب الدائم من الناس إلى تغيير الأمكنة وتبديل المنازل حيث يستحب التغيير والتبديل ، ثم ذلك الجمود على ذات الحال والحرص على البقاء فى ذات المنزلة حيث لا يُشتهى التغيير والانتقال . ولعله ما كان يتحوَّل أبناء الطبقة من الطبقات ولا يتزحزحون عن محلهم صعوداً ولا هبوطاً لو خلا الناس من حافز توكيد الذات والاستباق إلى الأمكنة العلية والمنازل البارزة

وكما يقع التزاحم على المنازل الرفيعة بين الطبقات يقع كذلك بين الأجناس والأمم والممالك والدول . ولعل دافعاً قوياً من دوافع

الحروب كان يزول لو زالت من النفوس رغبة الامتياز وهوى الاستعلاء

وفى الناحية الفردية يظهر الميل إلى توكيد الذات توكيداً طبيعياً مقبولاً فى مظاهر عديدة؛ منها رغبة التميز والتبذير فى الاكتشاف والاختراع والابداع الفنى والأدبى؛ ومنها رغبة البروز والامتياز فى مجال الاقتصاد وجمع الثروة؛ ومنها حب الغلب والانتصار فى ميادين الرياضة البدنية من محاضرة ومصارعة وملاكمة وخلافها؛ ومنها — كذلك — حب الانتصار فى ميادين الرياضة العقلية والترويح عن النفس بالنكتة البارعة والفكاهة الطليقة والهزل المستجد؛ ومنها حب التبرز والسمو فى ميادين القيادة الاجتماعية؛ ومنها شهوة التغلب والقهر فى ميادين الحب والغزل، ومنها خلاف هذا شىء كثير

فرغبة الامتياز وشهرة البروز فى ميادين العلم والاكتشاف والاختراع، وفى ميدانى الابداع الفنى والأدبى، هى فى أول دوافع الانشاء والابداع العلمى والفنى. وليست الرغبة فى الاختراع والاكتشاف، وفى الابداع الفنى ناجمة فقط مما ركب فى النفوس من غرائز الاستغراب وحب الطرافة وما يكون من تسامى دوافع الغريزة الجنسية من مستواها الحسى إلى مستوى أعلى وأجل، إنما هى ناجمة إلى حد كبير مما ركب فى الطباع من ميل قوى إلى تقرير الذات والتغلب على الصعاب والعقبات

وفى مجال جمع الثروة وحشد المال مظهر توكيد الذات ما تراه من عدم وقوف الناس فى جمع الثروة عند الحد الذى ييسر جميع مطالب العيش وأسباب الرفاه والدعة. فالمرء يعمل أولاً لرد غائلة الجوع وسد الحاجات الضرورية، فاذا تيسر له مقدار من الثراء يحقق له سد الحاجة وطرد الفاقة انتقل حافز الانتاج من مجال الحس إلى مجال الشعور، وغدا هدف الانتاج وتكثيره لذة التميز والانفراد بالشىء. ومن هنا قلما نرى ربَّا من أرباب المال يعتريه الفتور والوناء فى الجمع والانتاج، لأن فى ذلك وسيلة صامتة يكاثر بها الأعداء ويراغم الخصوم ويدل على الأقران. وهذا الدافع لا ريب يفسر لنا تفسيراً مقبولاً كثيراً من أنواع الاستملاك السخيف، كشهوة جمع الطوابع وتواقيع العظماء ومخطوطات الكتاب، وخلاف هذا مما لا قيمة له فى ذاته، وإنما كل قيمته ما يشعر مالكه بلذة الانفراد بالشىء والامتياز عن الناس ولو بالسخيف الذى لا قيمة له فى ذاته ولا وزن

وفى ميادين الرياضة البدنية من أثر هذا الدافع أن اللاعبين والمتثاقفين والمتحاضرين يقررون أشخاصهم ويؤكدون ذواتهم لدى النظارة والمشاهدين. ولولا ذلك لظلت الألعاب الرياضية ظاهرة فردية أكثر منها ظاهرة اجتماعية. وأنت تلمس أثر ذلك جيداً من الحماس الذى يستولى على قلوب اللاعبين كلما كثر عدد المشاهدين وزاد تحريضهم وتحمسهم للاعبين. ولو كان ترويض الأجسام وحده هو المقصود من الألعاب الرياضية لاكتفى اللاعبون بملاعبة ذواتهم ومثاقفة أنفسهم وحسب

وفى ميدان الرياضة العقلية والترويح عن النفس بالنكتة والهزل يقع هذا الميل موقعاً أول. وما يؤلف من نكتة ويروج من نادرة ويذيع من فكاهة مرجعه فى الأصل ميل النفوس الى التسرية بالظهور والبروز والاستعلاء على الخصم المشهود أو الغائب. فنحن إذ نضحك من موضوع النادرة أو الفكاهة، إنما نضحك لأنها تضع لنا شخصاً أو أشخاصاً موضعاً غريباً ضعيفاً يثير فينا حس الاستعلاء والبراءة من الغفلة أو الجهل أو البقاء. على أن النادرة — فى الأحوال الطبيعية — تعجز العجز كله أن تستثير الضحك فينا إذا بلغ الضعف فى موضوعها حس الاستعلاء، ويثير بديلاً منه حس الاشفاق والخشية أن يصيب هذا الموضوع شر أو أذى بليغ. ومن هنا قد يصور لك الكاتب صورة هزلية تستثير الضحك والابتسام، ولكنك لا يسعك إلا أن تجم وتكف عن الابتسام والضحك متى بلغ كاتبك بموضوع هزله حداً خطراً كأن يتعرض لخطر أكيد أو يضحى على حال تدعو إلى الاشفاق والأسى، ولن يعيدك إلى استشعار الغبطة والسرور إلا أن يعيد لك الكاتب موضوع هزله إلى مثل حاله الأولى التى لا تبلغ من القوة إضعاف حس الاستعلاء فيك ولا تبلغ من الضعف توليد حس الاشفاق والأسى فى نفسك

والميل إلى توكيد الذات وما يستتبعه من شهوة البروز ورغبة الاستعلاء تعمل عملها الأكيد فى ميدان العمل الاجتماعى وفى مجال القيادة الاجتماعية، إذ كان الانقياد وحب التعاون يستحيلان على الجمهور اذا لم يقم فيه القادة الذين يفرضون ذواتهم فرضاً على الناس ويقودونهم قيادة حازمة قوية الى حيث

يشاءون لهم من رفعة وخير وصلاح

وقد يستدرك القارىء هنا ويسأل : أيكون الميل الى توكيد الذات وشهوة البروز فى مجال القيادة والزعامة عامل خير ووسيلة صلاح فى ميادين العمل الاجتماعى ، ونحن نشهد من آثارها هذا الميل المسرف والتكالب المزرى على أسباب البروز والرفعة فى ميادين الزعامة المختلفة ، وان يكن ذلك — فى كثير الأحيان — على حساب الأمانى العامة واهدار المصالح الكبرى للشعب ؟

ونجيب أن الميل إلى توكيد الذات عن طريق السيادة الاجتماعية ككل ميل آخر من ميول النفس يضحى أداة فاسدة ووسيلة هادمة إذا خبثت النفوس وأسفّت الغاية ، وعلى أن فى يد الشعب — فى معظم أمره — القدرة على كبح هذا الميل وحصره ضمن حدود الصالح العام ، بما يداول من ثقته بين الزعماء والقادة وبما يشهِّر بالقيادة النفعية المتاجرة وبما يوليها من المقت والمحاسبة الشديدة ، مما يقمع فى القيادة عواطف الأثرة وحب الانتهاز والاستغلال حيث تهمُّ أن تبرز وتستعلن . ولا مراء فى أن الانتهاز والاستغلال عن طريق القيادة الاجتماعية يقلان فى شرقنا إجمالاً قلة مطردة بما تحدثه التربية من رفع مستوى التعليم والتنبه الفكرى وتعميق غور العواطف الاجتماعية

وأخيراً أثر هذا الميل فى ميدان الحب ، فنرى أن دافع توكيد الذات هذا يعمل عمله القوى فى طلب التنويع فى الحب وعدم الاكتفاء بحبيب واحد يقصرعليه الهم وينيط به القلب إلى آخر العمر . وذلك أن من الناس من يبلغ حسُّ الاستعلاء وشهوة الغلب ورغبة البروز عندهم مبلغاً يطغى عندهم على عاطفة الحب الصحيح فيغدو لا يهمهم من يحبون بقدر ما يهمهم كم من الخلق وقع فى حبائل حبهم ، فكأنهم بهذا يقيسون قدرتهم على الغلب والفوز فى ميادين الحب بعدد اللواتى يهمُّهن ذكرهم واستحوذت على قلوبهن صورهم

ونقف عند هذا الحد من التفصيل والتمثيل لهذا الميل فى أحواله الطبيعية والشاذة موقنين أن الاستقصاء التام والجلاء الكامل لجميع آثاره إنما هو استقصاء لأعظم حالات النفس أثراً مطبوعاً فى الخلق والسلوك وأشدها دافعاً وحافزاً على العمل ، وليس هذا المجال مجال ذلك

أديب عباسى

من (الكتاب الذهبى) قبل أن يطبع

لغة الأحكام والمرافعات

للأستاذ زكى عريبى

— ٤ —

لغة المرافعة لغة التماس

ويجب ألا يغرب عن الذهن أن الترافع ملتمس ، فلغته يجب أن تكون لغة التماس يحوطها الاحترام الكلى للهيئة التى يترافع أمامها . قد يكون أغزر من سامعيه علماً وأظهر فضلاً ، وقد يكون كلامه لهم تعليما ، ولكن عبارته يجب أن تكون عبارة إكبار وإعظام

والاحترام والاكبار لا يقتضى التذلل ولا الضعة فى توجيه الخطاب . وشد ما أكره عبارة « سيدى البيه » يوجهها بعض الزملاء إلى قاض ليس « بيكا » ولا هو بحاجة إلى رتبة تخلع عليه على سبيل التأدب الزائد وقد يحمل خامها على أنه زلفى وتقرب

وفى الوقت عينه لغة جرأة

على أنه إن كانت لغة المرافعة لغة تعظيم وتوقير فهى فى الوقت عينه لغة عزة وجرأة . وقد روى التاريخ مواقف للمحامين رقوا فيها إلى درجة البطولة . انظر إلى ديسيز وقد دعاه لويس السادس عشر إلى الدفاع عنه أمام الجمعية التأسيسية فى وقت جمعت فيه هذه الهيئة فى يدها جميع السلطات ، وأصبح مجرد الاشارة إلى الملوكية جريمة . انظر إليه وهو يواجه هيئة ضمنها أمثال روبسبيير ودانتون ومارات . انظر إليه وهو يقرع أسماعهم وقلوبهم بهذا الخطاب الخالد

« أيها المواطنون ! سأخاطبكم بلسان الرجل الحر . إنى أبحث بينكم عن قضاة فلا أجد غير متهمين

أتريدون أن تجعلوا من أنفسكم قضاة « للويس » وأنتم خصومه ؟ أتريدون أن تجلسوا للحكم فى قضية لويس ولكم فيها رأى يجوب أوروبا من أقصاها إلى أقصاها ؟

أيكون لويس الفرنسوى الوحيد الذى لا يحميه قانون ولا يتبع فى محاكمته إجراء واحد صحيح ؟

أيجرد من امتيازاته كلك ومن حقوقه كمواطن ؟
أيخذله القانون حاكما ومحكوماً ؟
يا له من مصير عجيب لا يتصور ! »

لقد ضربت أعناق كثيرة فى عهد الثورة لكلام أقل خطورة من هذا بما لا يقاس . ولكن لأعمال الجرأة روعة تهاب وتحترم ، فان التاريخ الذى حفظ هذه المرافعة الخالدة بين صحفه الذهبية . هذا التاريخ عينه يحدثنا بأن شعرة من رأس ديسيز لم تمس بسبب هذا الكلام الجرىء وأنه ترافع بعد ذلك أكثر من مرة فى أشد أوقات الثورة حلوكة وسوادا

الاعتدال فى لغة المرافعات

وليس أزرى بالمرافعات ولا أضيع لبهجتها ولا أفل لسلاحها من سفه لغتها . إن عبارة قاذعة واحدة يرميها خصم كريم — أو غير كريم — لتكفى فى تنفير القاضى

وليس بعد النفرة تفويت للغرض الأصيل المقصود بالمرافعات وأقبح من رمى الخصم بما لا يحب جرح الزميل

صحيح أن المرافعة دفع وجذب ، ونادر هو المترافع الذى يملك زمام أعصابه فلا تجمح به حدة الدفاع ؛ ولكن المسألة مسألة مران ، وإنك لتدهش وقد عودت نفسك التزام حدود الاعتدال كيف يسمو موقفك ، وتعلو حجتك ويمتاز بيانك

المرافعات فى مصر

بقيت كلمة كان يمكن أن تكون موضوع مقال خاص ، فلسنا نملك الاطالة فيها هنا ، وهى عن المرافعات فى مصر

لقد انقضى على انشاء المحاكم المختلطة نيف وستون عاما ، وأقل منها قليلاً على قيام المحاكم الأهلية ، وقد غلبت على الأولى اللغة الفرنسية ، وكانت العربية لغة الثانية منذ الانشاء وقبله

وقد زهت اللغة فى كلا القضاءين إلى حد يشهد لمصر بالتفوق البعيد

حضرت الأستاذين كاتسفليس وبادوا (وكلاهما شرق متمصر) يترافعان فى قضية قناة السويس . وكان إلى جانبى الأستاذ جرانمولان الناظر الأسبق لمدرسة الحقوق ، فهمس فى أذنى والأول مندفع فى بيانه الساحر : « لا تطمع أن تسمع خيرا من هذه الفرنسية من خيرة المترافعين أمام محكمة السين »

وفى المحاكم الأهلية سابقت لغة المرافعات الزمن فسبقته لقد وجد مداره مقاويل — على حد تعبير رئيس محكمة النقض — قبل أن تخطو اللغة العربية خطواتها الأخيرة الواسعة وجد (حسين صقر) ، و (اللقانى) ، و (نقولا توما) وغيرهم من بناة المجد فى زمن كانت المحاماة فيه مجرد اجتهاد

وثمة نموذج من هذا المجد الغابر تجده إلى اليوم قائماً بيننا فى شخص شيخ الجماعة وإمام الصناعة الأستاذ الأكبر ابراهيم الهلباوى بك

من ذا يستطيع إلى اليوم تحدى بديهته الوثابة ولغته الفكهة اللاذعة وسخره القتال ؟

ومن ذا الذى يستطيع أن ينسى سعد زغلول وأبا شادى من جبابرة ذلك العصر وكلاهما كان إلى الأمس القريب صداحا بأروع الأدب

وجاءت بعد هؤلاء طبقة هى فخر المحاماة بمعناها الصحيح وفخر لغة المصر : أحمد لطفى بلغته السهلة الممتعة وعبد العزيز فهمى بقلمه ولسانه الجبارين يتصرفان فى المعنى وفى المبنى بما يريد ويشتهى . ووهيب دوس صاحب المنطق الجزل والديباجة الرشيقة والبيان المتدفق فى غير متعة ولا تزيد . ومرقس ! مرقس الذى لا يلحق ولا يدانى ، مرقس الجذاب الأخاذ ، المتغلغل بسامعه إلى الأعماق ، السامى به إلى السبع الطباق

كل من هؤلاء يستحق أن يدرس دراسة خاصة ، وأن يقدمه إلى الناس قلم غير هذا القلم ، وأن تقف عليه جهود لا تستطيعها هذه العجالة

وفى دراسة هؤلاء الفحول دراسة لناحية مجيدة من أدبنا القومى يجب ألا تهمل . وحسبك منا هنا الاشارة إلى آثارهم فى مختلف ألوان فنى الكلام القضائى مما لا يحصيه محص

مرافعات النيابة

ومن الاجرام أن نغفل فى صدد الكلام على المرافعات فى مصر جهود القائمين بالدعوى العامة

لقد ضربوا فى فنى الكلام القضائى بسهم . ورقوا بالمرافعات الجنائية إلى عليين

من نذكر على سبيل المثال ؟

أثروت أم أبو السعود من المثيبين فى جوار الله ؟ الابراشى أم لبيب عطيه أم عمر عارف من الأحياء النابهين ؟

كلهم يصح أن يحتذى

اسمع ما يقول النائب العام الأسبق فى قضية الوردانى

« إن الوطنية التى يدعى الدفاع عنها بهذا السلاح المسموم لبراء من مثل هذا المنكر

إن الوطنية الصحيحة لا تحل فى قلب ملأته مبادىء تستحل اغتيال النفس . إن مثل هذه المبادئ مقوضة لكل اجتماع

وماذا يكون حال أمة إذا كانت حياة أولى الأمر فيها رهينة حكم متهوس يبيت ليله فيضطرب نومه وتكثر هواجسه فيصبح صباحه ويحمل سلاحه يغشاهم فى دار أعمالهم فيسقيهم كأس المنون ؟

ثم إذا سئل فى ذلك تبجح وقال إنما أخدم وطنى لأنى أعتقد أن مثلهم خائنون للبلاد ضارون بها : تباً لتلك المبادئ وسحقاً لها ! كيف يقوم لنظام قائمة مع تلك المبادئ الفاسدة ؟ إن مبادئ كل اجتماع ألا ينال إنسان جزاء على عمل مهما كان هذا الجزاء صغيراً إلا عن يد قضاة اشترطت فيهم ضمانات قوية وبعد أن يتمكن من الدفاع عن نفسه حتى ينتج الجزاء النتيجة الصالحة التى وضع لها من حماية الاجتماع

فاذا كان هذا هو الشأن فى أقل جزاء يلحق بالنفس أو بالمال فما بالك بجزاء هو ازهاق الروح والحرمان من الحياة ؟

تلك مبادئ لا وجود لمجتمع إلا بها ولا سعادة له بدونها ، فالطمأنينة على المال والنفس هى أساس العمران ومن الدعائم التى ادعم عليها فى كل زمان ومكان ، ولكن الوردانى له مذهب آخر فى الاجتماع ، فهو يضع نفسه موضع الحكم على أعمال الرجال فما ارتضاه منها كان هو النافع ، وما لم يرتضه كان هو الضار . ويريد أيضاً أن يكون القاضى الذى يقدر الجزاء ثم يقضى به من غير معقب ولا راد

كل ذلك والأمر لم يتعد ارجاء صدره ولا يعلم ذلك المسكين الذى سينصب عليه هذا القضاء أنه على قيد شبر من الموت جزاء له على جناية لم يسأل عنها ولم يعلم من أمرها شيئاً

إن مثل هذا الحق لا يمكن أن يكون إلا لله سبحانه وتعالى المطلع على السرائر العليم بالنيات ، ومع ذلك فانه جل شأنه شرع الحساب قبل العقاب ؛ ثم إن هذا الحق لم يتطلع إليه أحد من العالمين حتى الأنبياء أنفسهم ، وقد أجمعت الشرائع على عصمتهم من الزلل والخطأ ، ولكن الوردانى يريد أن يضع نفسه فوق كل الدرجات المتصورة لحاكم وحكم وقتل

إنى لترتعد فرائصى إذا تصورت منظر البلاد وقد نشأ فيها البلاء الأكبر بفشو تلك المبادئ القاضية »

واسمع ما يقوله النائب العام السابق خاتماً به مرافعته الرائعة فى قضية الفلال

« لقد أبنت مبلغ نذالة الجريمة ومدى شرها إذا هى وقعت على كابر جليل المقام

أبنت ذلك بقدر ما فسح لى موقف النائب العمومى وأجازته الأمانة التى فى عنق

ولو أن المجال حر لقائل لسمعتم كل ما يتطلبه حزمكم وترضاه عدالتكم ، ولكننى كما أسلفت مؤمن بفطنتكم ولى فيها كل الغناء

على أن هناك أمراً أجل شأناً وأعظم خطراً لا أستطيع حمل ضميرى على كتمانه ، ولا عقد لسانى عن بيانه . هذا الأمر الخطير هو ما أشرت إليه فى صدر مرافعتى وألمحت به عند حديثى عن الباعث الذى دفع المتهم إلى جنايته ، ذلك هو ولع التبطل وغواية الاستعظام ، وما أجملت فى جلسة الاحالة بأنه داء اجتماعى وبيل يهدد الحكومات فى كيانها ويشل النظام من أساسه ، وأنه إن لم يؤخذ بيد عسراء استفحل ضرره وعز اتقاء شره . نعم استفحل ضرره وعز اتقاء شره

ارسموا لأنفسكم بواسع خبرتكم ونافذ بصيرتكم حال البلاد وقد أصبح كل عظيم فيها هدفا لرأى شقى تربعت فى نفسه الشريرة هذه الأفكار الخطرة ! تلك حال أستعيذ بالله منها

هى مضيعة للطمأنينة ومقتلة للنبوغ ومفسدة لنفس العاملين ؛ بل هى حفرة يتردى فيها إخلاص المخلصين ونشاط المجدين وإيمان الصالحين

أنتم قضاة الحق ولكنكم أيضاً مربو الخلق . وكلمة العدل التى بها تنطقون يتجاوب صداها فى نفوس ناشئة ونفوس ثائرة ونفوس فزعة خائرة . فاجعلوا حكمكم رسالة عدل وبلاغ عبرة وبشرى سلام

وإذا جنحتم إلى الرحمة فاشملوا بها النشء وقد أوشك أن يلتوى ، والبلاد وقد دب فيها ذاك الداء الوخيم

أنتم أطباء النفس كما أنتم قضاة العدل ، والطبيب البصير لا يتردد ولا ينى عند الضرورة الحاكمة ، والقاضى الحازم يهذب بالزجر الحكيم وهو فى زجره من الراحمين

وازنوا بين روعة الرحمة ، وقد حلت بالبلاد وبالنشء وبين

الحجاب فى الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى
من علماء الأزهر

— ٣ —

وقد عرف الاسلام أن إطلاقه الأمر للنساء فى ذلك قد يؤدى بهن إلى إساءة استعمال حقهن فيه ، فيضيق الرجال باساءة استعمالهن له ، ويعملون على التضييق عليهن وسلبهن إياه ، كما حدث ذلك بين المسلمين فآل بهم إلى هـذا الحجاب المقوت الذى يحسب زوراً على الاسلام ، وكما يحدث الآن فى بعض البلاد الأوربية التى سئمت إسراف النساء فى السفور ، فأخذت تحد من حريتهن فيه ، وتضيق عليهن بعض التضييق

فلما عرف الاسلام هذا شرع للنساء فى الخروج من البيت والاختلاط بالرجال سنناً تصونها عن تلك الاساءة ، ولا تجعل للرجال عليهن سبيلا فى سلبهن ما أعطاه لهن من ذلك الحق . وليست تلك السنن من الحجاب فى شىء ، وإنما هى تنظيم لهذا الحق بين الرجل والمرأة

ومن تلك السنن ألا تخرج من بيتها إلا باذن زوجها ، لأن له حقوقاً عليها فى منزلها ، فلا يصح لها أن تخرج منه إلا إذا سمحت بذلك نفسه ، وليس له أن يمنعها من الخروج لحاجتها بعد قيامها بحاجاته

ومن تلك السنن ألا تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها . وقد ورد فى ذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : لايخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم . فقام رجل فقال يارسول الله : إن امرأتى خرجت حاجَّة ، وإنى كتبت فى غزوة كذا وكذا ، قال : فانطلق فحج مع امرأتك

ومن تلك السنن تحريم الخلوة ، لأن فى اختلاء المرأة بالأجنبى مفاسد كثيرة ، وهى وسـيلة من وسائل إغوائها ، ودفعها فى طرق لا ترضى الدين ولا الشرف . ولم يحرم الاسلام على المرأة الاختلاط بالأجانب مع وجود زوج أو محرم لها ، ليكون هذا الاختلاط بريئاً بعيـداً عن الريبة ، وينحصر فى الأغراض الصحيحة التى تقصد منه ، كاسـتفادة علم أو أدب ، أو أنس بحديث ونحوه

ومن تلك السنن ألا يتبرجن عند خروجهن من بيوتهن ، ولا ينظرن إلى الرجال نظرات غير بريئة ، ولا يظهرن من أجسامهن ما لا حاجة إلى إظهاره ، وما إلى هذا مما جاء فى قوله تعالى من سورة النور : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيهـا المؤمنون لعلكم تفلحون) . وكما أمر النساء بالغض من أبصارهن فى هذه الآية أمر الرجال بالغض من أبصارهم فى الآية التى قبلها : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون)

(يتبع)

ضآلتها إن هى حلت بهذ المجرم العتيد ، ثم اقضوا قضاءكم والله معكم إنه نعم الهادى ونعم النصير »

تلك وايم الحق بلاغة ليس بعـدها بلاغة . معنى حكيم فى لفظ سليم ، وفصيح عبارة فى أوجز إشارة

وتعال إن أردت تسريح الطرف فى خير ما تقع عليـه العين من أدب فى قضية أدب إلى مرافعة عمر عارف فى دعوى القذف التى سبقت الاشارة إليها . اسمع ما يمهد به هـذا الأديب المتشح برداء النيابة لمرافعته القيمة :

« تعرض اليوم أمام القضاء قضية جنى فيها رجلان ينتسبان إلى الأدب على طهر الأدب عامة فى شخص مصرى له مكانه من العلم . ولو لم يكن إلا أنه محام نذر نفسه لنصرة الحق أمام شرف القضاء لكان ذلك من المنزلة فى الثقافة العلمية والفضل المشكور حسبه »

زكى عريبى
المحامى أمام محكمة النقض والابرام

قال الفخر الرازى فى تفسير ذلك : جميع بدن الحرة عورة ، ولا يجوز للرجل أن ينظر إلى شىء منه إلا الوجه والكفين ، لأنها تحتاج إلى كشفهما لأجل البيع والشراء والأخذ والعطاء . ولهذا لما نهى النساء أن يبدين زينتهن استثنى من ذلك ما ظهر منها . وقد قال القفال : إنه الوجه والكفان . وألحق بعض الفقهاء بهما الذراعين والقدمين . ثم إن نظر الرجل إما أن يكون لغرض كنكاح أو معاملة ، وهو جائز بلا خلاف ، وإما أن يكون خالياً من الغرض ، فان كان بشهوة كان حراماً ، وإن لم يكن بشهوة كان جائزاً فى مذهب بعض الفقهاء . وقيل إنه لا يجوز ، ولكن هذا لا يلزمه إلا وجوب غض البصر ، ولا يلزمه وجوب ستر المرأة وجهها بنقاب ونحوه ، بدليل أن النظر إلى الأمرد بشهوة حرام ، ولم يقل أحد أنه يلزمه أن يستر وجهه ، لأن هذا حرام عليه لما فيه من التشبه بالنساء . وأظهر من هذا فى ذلك أن النظر بشهوة الى حيوان جميل أو صورة جميلة حرام أيضاً ، ولا يعقل أن يكلفا بهذا النقاب ، وإنما يحرم النظر بشهوة لما يصحبه من إرادة الفسق . فاذا كان مجرد استحسان خالياً من هذه الارادة الذميمة فانى أرى أنه ليس فيه شىء من الحرمة ، بشرط ألا يصحبه مايفعله رجالنا من التعريض القبيح إذا مر بهن النساء ، وتلك عادة ذميمة يجب على رجالنا أن يقلعوا عنها ، وأن يعنوا بجد الحياة بدل هذا الهزل والمزاح

فالمرأة المسلمة فى حل من هذا النقاب الذى يظن أنه فرض عليها فى دينها ، إذا شاءت سترت به وجهها ، وإذا شاءت تركت وجهها بلا نقاب ؛ ولا يطلب منها دينها الا أن تترك التبرج والتهتك والتزين بما يزيد على الحاجة ، أو يدعو الى الفتنة . ولا دلالة فى قوله تعالى : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) على وجوب هذا النقاب ، لأن سبب نزول هذا أن نساء الجاهلية كن يشددن خمرهن من خلفهن ، وكانت جيوبهن من قدام ، فكانت نحورهن تنكشف ، وكذلك قلائدهن ، فأمرن بضربها على الجيوب لتغطى القلائد والنحور . ولا يعقل أن يراد من هذا تغطية الوجه أيضا بعد استثنائه فى قوله : (إلا ما ظهر منها)

ومما يحتج به لهذا النقاب قوله تعالى فى سورة الأحزاب : (يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما) ، قيل فى تفسير ذلك إنه كان رجال من الفساق يتعرضون فى الطرق للنساء ويتبعونهن ، فاذا لامهم الناس قالوا كنا نحسبهن إماء ، فنزلت هذه الآية باتخاذ الجلباب للحرائر ليعرفن من الاماء فلا يؤذين . وقد مر عمر بن الخطاب بجارية ذات نقاب فضربها وقال لها : أتتشبهين بالحرائر يا لكاع !

وإنى أرى أن مثل هذا لا يصح أن يكون حجة على وجوب هذا النقاب ، وأرى أن قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن) ليس معناه أن يعرف أنهن حرائر ، لأن دفع هذا الأذى عن النساء واجب فى الاسلام بلا فرق بين الحرائر والاماء ، وإنما معنى هذا عندى أنهن يعرفن بأنهن عفيفات فلا يطمع فيهن الرجال

أما أن ذلك لا دلالة فيه على وجوب هذا النقاب فلأن هذه الصيغة (يأيها النبى قل) لا تدل على الوجوب ، لأن الأمر بالأمر بشىء لا يفيد وجوب هذا الشىء ، كما هو مذهب جمهور علماء الأصول ، ولأن قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) يدل على أن هذا لا يقطع ذلك الأذى ، وإنما هو أقرب الى دفعه ، ومثل هذا لا يكون واجباً ، بل يكون مندوباً . على أنه قد اختلف فى إدناء هذا الجلباب ، فقال ابن عباس : أمر نساء المؤمنين بذلك أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلاليب إلا عيناً واحدة يبصرن بها الطريق . وقال الحسن : يكفى أن تغطى المرأة نصف وجهها . وقال قتادة يكفى أن تغطى معظمه

وإذا كانوا قد صاروا إلى هذا الخلاف فانا يمكننا أن نحمل إدناء الجلباب على ستر مالا يبدو عند الزينة ، لأن هذا قد استثنى استثناء صريحاً فى آية سورة النور السابقة ، وهذا هو الواجب فى الجمع بين الآيتين . وقد قيل إن الجلاليب الثياب ، لأن الجلباب يطلق لغة على الثوب والملحفة والخمار ، وهو فى الآية محتمل للثلاثة ، فيكون معنى إدناء الجلباب أن يطلن أطرافه حتى لا يظهر منهن شىء غير الوجه والكفين

وهذا هو حكم الاسلام فى الحجاب والنقاب ، وخلاصته أن يرى ترك أمرهما لحكم العرف والعادة ، وما يرضاه كل من الرجل والمرأة على وجه يصونها من الفساد ، ويحفظ ماله عليها من حقوق

(تم البحث)

عبد المتعال الصعيدى

دين المتنبي

٢ ـ أبو الطيب المتنبي

للأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد

ومما يتصل بالكلام على دين أبي الطيب أنه لم يشرب الخمر إلا في القليل النادر، فليس هو من المدمنين الماجنين، ولذلك لا تجد في شعره شيئاً من المجون إلا أن يهجو فيقذع في هجائه. وما لأبي الطيب والخمر، وهي انما يشربها الغواة وذوو البطالة، ومن لا مطمع لهم في الحياة يسعون لتحقيقه، فأما الرجل الذي يفكر في المجد ويأمل أن يصل إلى ذروته، فليس ممن يفكرون في الخمر. حدثوا أن صديقاً لأبي الطيب كنيته أبو ضبيس سأله يوما أن يشرب معه فأجابه بقوله:

ألذ من المدام الخندريس ... وأحلى من معاطاة الكؤوس
معاطاة الصفائح والعوالي ... وإقحامي خميساً في خميس
فموتي في الوغى أربي لأني ... رأيت الموت في أرب النفوس
ولو أسقيتها بيدي كريم ... أسر به لكان أبا ضبيس

وهو ينادم اخوانه إذا شربوا الخمر، فيشرب كأساً من الماء فقد قال له بعض بني كلاب: أشرب هذه الكأس سرورا بك، فأجابه بقوله:

إذا ما شربت الخمر صرفا مهنأ
شربنا الذي من مثله شرب الكرم
ألا حبذا قوم نداماهم القنا ... يُسَقُّونها ريا وساقيهم العزم

ومد إنسان له يده بكأس من الخمر وحلف بالطلاق ليشربنها، فقال:

وأخ لنا بعث الطلاق ألية ... لأعللن بهذه الخرطوم
فجعلت ردى عرسه كفارة ... عن شربها وشربت غير أثيم

وهذه احدى المرات التي شرب فيها الخمر، ولم يصب حكم الشريعة في قوله: «وشربت غير أثيم» ولكنها إحدى تظرفات الشعراء. ولعلها مع ذلك تدل على أن امتناعه عن الشرب في غير هذه المرة لمخافة الاثم

أخلاق أبي الطيب

سنتكلم في هذه العجالة على أربع خلال كان لها أثر ظاهر في حياة أبي الطيب وأخباره وشعره، وهي: الشجاعة والكبر والبخل والغدر. فأما شجاعته فهي أظهر من أن تلتمس لها الشواهد، فهو شجاع يحن شوقا إلى لقاء العدى ويستصغر المخاطر في هذه السبيل، ويستهين بما يكابد فيه من أهوال، ولقد كان مسوقا إلى اقتحام الردى تدفعه إليه نفسه المتوثبة الطامحة وتغريه به آماله الجسام التي يحرص على إدراكها الحرص كله، والتي يعتقد أن الوسيلة اليها هي التضحية وبذل النفس. وقد كانت فيه مع ذلك عجلة تشبه الرعونة نبتت فيه من تلهفه على بلوغ الغاية التي يصبو إليها حتى كان يخشى أن يعجل إليه الموت قبل بلوغها. أنظر اليه وهو يحدثك عن المجد الذي يتطلع اليه ويشير الى أن الحياة أضيق من أن تتسع لانتظاره

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها ... فمفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة ... فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وان ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دوياً كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر

ثم انظر إليه وهو يحدثك عن مطلبه ويصف لك أن إدراكه بعيد ويحضك على ألا تبالي بما تلقاه في حياتك من الشدائد والمحن

أريد من زمني ذا أن يبلغني ... ما ليس يدركه من نفسه الزمن
لا تلق دهرك إلا غير مكترث ... مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به ... ولا يرد عليك الفائت الحزن

ثم انظر إليه وهو يدلك على أن هناءة العيش وسعته وطيب الحياة وسائر ما في الدنيا من متاع أمور لا تدرك إلا بحد السيف وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي

أرتك احمرار الموت في مدرج النمل

وتراه لا يترك الحديث عن آماله وشجاعته حتى في المواقف التي لا يحسن فيها الفخر، ولقد كان مما اشتهر به شعره أنه يتحدث عن نفسه في أثناء المديح والرثاء. استمع إليه وهو يقول لكافور:

فارم بي حيثما أردت فاني ... أسد القلب آدمي الرواء
وفؤادي من الملوك وان كا ... ن لساني يرى من الشعراء

وهو مفتون بذلك منذ صباه، ولا عجب في ذلك فان كثيراً

من الناس تولد معهم الآمال فى طراءة السن وميعة الشباب ، وعصر أبى الطيب الصاخب الملىء بحوادث الانقلاب خليق بأن يثير فى نفسه لواعج الآمال ؛ قيل له وهو صبى « ما أحسن وفرتك » فأجاب :

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صـــعدة يعلها من كل وافى السبال

فأما الكبر فقد كان أبو الطيب مستكبراً تياهاً صلفاً يرى أن لا أحد مثله وأن أعلم أهل زمانه فدم وأحزمهم وغد ، وأن كل ما خلق الله وما لم يخلق حقير الى جانب عظمته كشعرة فى مفرقه . ولقد كان من آثار كبره أن ترفع عن مدح الوزير المهلبى والصاحب ابن عباد ، وحدثته نفسه أن يتأبى على عضد الدولة ، ولولا أن ابن العميد زين له الذهاب إليه وأغراه بما سيناله لديه من التكرمة والمال لكان قد امتنع . ولقد جر على نفسه بهذا الترفع عداوة الوزير والصاحب وعداوة أشياعهما من الشعراء والكتاب والعلماء . فأما الوزير فقد أغرى به شعراء العراق يزدرونه وينالون من عرضه ويبالغون فى هجائه ، وأغرى به جماعة من العلماء منهم أبو الفرج صاحب كتاب الأغانى يتعقبونه ويشهرون به . وأما الصاحب فلم يسكته عنه علمه بمحاسنه وكثرة ما كان ينتفع بمعانيه ، بل أخذ يتتبع هفواته ويعد عليه سقطاته ويغرى به المترددين عليه الطامعين فى عطاياه ، وما أكثر هؤلاء !!!

ونحب أن ندل هنا على أمرين : الأول أن آثار كبر أبى الطيب وترفعه لم تظهر جلية واضحة إلا بعد أن اتصل بسيف الدولة ونبه شأنه . فأنت تراه قبل ذلك يمدح قوماً لا نباهة لهم ولا ذكر ، وتراه يمدح على أتفه العطايا ، وقد تنبه إلى ذلك أبو منصور الثعالبى فهو يقول : « وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصاد ما بين الكركى والعندليب » اهـ ، وأبو الطيب معذور فى ذلك فان سيف الدولة قد غمره بعطاياه حتى درت له أخلاف الدنيا ولقى فى جواره من الكرامة ما شجا حاسديه فكان خليقاً أن يقول فيه :

تركت السرى خلفى لمن قل ماله وأنعلت أفراسى بنعماك عسجدا
وقيدت نفسى فى هواك محبة ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا

الأمر الثانى : أنه قد اختلط على بعض الناس كثير من مواقف أبى الطيب فاعتبروها كبراً أو تكبراً وليست هى من الكبر فى شىء وإنما هى عزة النفس والاحتفاظ بالكرامة ، وتقدير المرء نفسه وإكرامه إياها من الكبر بالمكان النائى البعيد ؛ فليس لأحد أن يزعم أن من الكبر إنشاد أبى الطيب سيف الدولة وهو جالس واشتراطه عليه ألا يقبل الأرض بين يديه إلا أن يكون ممن تختلط الأخلاق فى أنظارهم فيرونها بغير المنظار الذى يراها به الناس ؛ وعسيت أن تسأل بعد ذلك أين ذهبت عزة نفسه حين أنشد كافور وهو واقف ؛ والجواب على ذلك أن ننبهك إلى أنه فارق سيف الدولة حانقاً متبرماً فلعل وقوفه بين يدى كافور وهو من أعداء سيف الدولة ليثير غيظه ، أو لعله أراد به مصانعة كافور لينال منه الذى وفد عليه من أجله . على أنه إن كان قد ترك معه ما جرت به عادته مع سيف الدولة فقد اتخذ لعزته لوناً آخر ، فقد كان يقف بين يديه وفى رجليه خفان وفى وسطه سيفه ومنطقته

فأما البخل فقد رماه الناس به وحكوا فى ذلك عنه أنه أحضر مالاً من صلات سيف الدولة وصب بين يديه على حصير قد افترشه ووزن وأعيد فى الكيس وإذا قطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت الحصيرة فأكب عليها ينقرها ويعالج استنقاذها ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى إذا ظهر له بعضها تمثل بقول قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ولم يزل كذلك حتى استخرجها وأمر باعادتها الى مكانها من الكيس . وعجيب أن يكون بخيلاً ذلك الذى يقول

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى صنع الفقر

ولكنهم يروون عنه أنه قال : (إنى وجدت الناس لا يكرمون أحداً إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار فاعتمدت أن يكون عندى مثلها . فأنا أجد فى ذلك حتى يقول الناس إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار) اهـ . وإن يكن القوم صادقين وكان لأبى الطيب عذر فى حرصه على المال وفى ضنه أن تضيع منه قطعة كأصغر ما يكون فليس هو هذا العذر الذى نسبوه اليه ، وإنما عذره أن المجد الذى كانت نفسه تحدثه به فى حاجة الى المال وهذه إشارة نجتزئ بها فى هذا الموضوع

فأما الغدر فآيته أنك تراه كل يوم بين يدى ملك أو وزير وتراه كلما وقف بين يدى واحد منهم يمدحه بأنه أكرم الناس

علم المتنبي باللغة والأدب *

تصحيح كتاب المقصور والممدود — تعليقات على ديوانه

للدكتور عبد الوهاب عزام

يعرف جمهور المتأدبين أبا الطيب شاعراً واسع المعرفة باللغة ، ولكنهم لا يعرفونه إماما من أئمة اللغة في القرن الرابع كما يتبين فيما يلي :

قدمت في الكلام على نشأة أبي الطيب أنه درس اللغة والأدب ، وأثبتّ رواية تتضمن أنه لقي جماعة من كبار الأدباء في عصره ، ولكن هذه الرواية على ما أظهرتُه من الوهن في بعض نواحيها لم تبين كم طلب اللغة والأدب على هؤلاء الشيوخ ولا كيف طلب . وقد بينت آنفا أن رحيل الشاعر إلى الشام كان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وهو في سن الثامنة عشرة

وما روى لنا أنه طلب الأدب على أحد في الشام إلا قول الثعالبي إن أباه رحل به إلى الشام فلم يزل يردده في مكاتبها الخ [1]

وجائز أن يكون الشاب المتوقد ذكاء قد درس الأدب واللغة على بعض أدباء الشام أيضا

والذي لا ريب فيه أن أبا الطيب بلغ من العلم باللغة وغريبها وشواهدها ولقن عن أهل البادية منها ما لا نعلمه لشاعر آخر من شعرائنا ؛ وقد بلغ في هذا أن عدّ في عصره من علماء اللغة ، وآن غلب الشعر عليه

واثبات هذه الدعوى على النسق الآتي :

١ — رويت لنا حوادث وأقوال متفرقة تبين عن اشتهاره بمعرفة اللغة وتعرب عن رأي معاصريه فيه :

قال ابن الانباري : « ويحكى أن أبا الطيب اجتمع هو وأبو علي الفارسي ، فقال له أبو علي : كم جاء من الجموع على وزن فِعلى ؟ فقال : حجلى وظربى ، جمع حَجَل وظَربان . قال أبو علي : فسهرت تلك الليلة ألتمس لهما ثالثا فلم أجد . وقال في حقه « ما رأيت رجلا في معناه مثله . » وهذه الجملة الأخيرة ذكرها ابن جني في مقدمة شرحه الديوان ، وقال : «ولو لم يكن له من الفضيلة إلا قول أبي علي هذا فيه لكفاه . لأن أبا عليّ ، على جلالة قدره في العلم ونباهة محله واقتدائه بسنة ذوي الفضل من قبله ، لم يكن ليطلق عليه هذا القول إلا وهو مستحق له عنده »

فسؤال أبي علي أبا الطيب هذا السؤال دليل على أنه لفت الناس اليه بسعة معرفته باللغة ، ثم شهادته له دليل آخر

ولما وقع الجدل بين أبي الطيب اللغوي وابن خالويه في اللغة بحضرة سيف الدولة ، قال الأمير : ألا تتكلم يا أبا الطيب ؟ فتكلم ونصر أبا الطيب اللغوي على ابن خالويه [1] . فسؤال سيف الدولة أبا الطيب أن يتكلم في أمر يتجادل فيه اثنان من اللغويين دليل على عدّه من علماء اللغة

ولما دخل على الوزير المهلبي في بغداد أنشد بعض الحاضرين وفيهم أبو الفرج الأصفهاني هذا البيت :

سقى الله أمواها عرفت مكانها جُراما وملكوما وبذّر فالغمرا

فقال أبو الطيب : هو جرابا ، وهذه أمكنة قتلتها علما ؛ وإنما الخطأ وقع من النقلة [2]

(١) انظر ص ١٢٦ (٢) انظر ص ٣٢١

---

* من كتاب « ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام » للدكتور عزام الذي طبع في بغداد ويطلب في مصر من لجنة التأليف والترجمة والنشر

(١) انظر ص ٤٥

وأشجع الناس وخير الناس ؛ وقد يتجاوز ذلك الى التعريض بمن مدحه من قبل ، وقد يتجاوز التعريض والتلويح الى التصريح ، ثم قد يتجاوز ذلك كله الى الهجاء ، اسمع اليه يقول لسيف الدولة :

وحاشى لارتياحك أن يبارى وللكرم الذي لك أن يباقى
ولكنا نداعب منك قرما تراجعت القروم له حقاقا

فانه لم يكتف بأن جعل ارتياحه للبذل لا يباريه ارتياح ، وكرمه لا يطاوله في البقاء كرم ، حتى جعله سيداً فحلا وجعل الناس في موازنته حقاقاً ، فلما وفد على كافور كان في أول قصيدة قالها له قوله :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

(يتبع)

محمد محيي الدين عبد الحميد
المدرس بكلية اللغة العربية

وقد حكى الحاتمى أنه ناظر أبا الطيب ببغداد فلم يقتصر على مناظرته فى الشعر ، بل ناظره فى اللغة أيضا . وحكى أن أبا الطيب قال له اللغة مسلّمة لك ، فقال : وكيف تسلمها وأنت أبو عذرتها وأولى الناس بها ، وأعرفهم باشتقاقها ، والكلام على أفانينها ، وما أحد أولى بأن يسأل عن غريبها منك[1]

وفى هذا برهان على اشتهار أبى الطيب بمعرفة اللغة ولو كان كلام الحاتمى تهكما وسخرية أو كانت قصته كذبا

ولما نزل عند ابن العميد فى أرّجان قرأ عليه كتابا جمعه فى اللغة . قال فى الايضاح : « وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه » [2]

وقال الخالديان : « كان أبو الطيب المتنبى كثير الرواية ، جيد النقد ... وكان من المكثرين فى نقل اللغة والمطلعين على غريبها ، ولا يسأل عن شىء إلا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر » . وقال صاحب الايضاح : « وجملة القول فيه أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر [3] »

وقال ابن جنى : « ولقد كان من الجد فيما يعانيه ، ولزوم أهل العلم فيما يقوله ويحكيه ، على أسد وتيرة ، وأحسن سيرة »

٢ — وقد أثرنا بعض كلامه فى اللغة ، وذلك قسمان

مجادلته ابن جنى فى مسائل عرضت أثناء قراءة الديوان عليه ، وحسبك بمن يناظر فى اللغة والصرف ابن جنى امام اهل العربية فى التصريف ، ثم يشهد له ابن جنى الشهادة السالفة ، وعندنا من هذه المجادلات أمثلة

والثانى ما أملاه أبو الطيب نفسه شرحا لبعض شعره . وقد عثرت على نسختين من الديوان فيهما كثير من هذا الشرح ، وفيه من التبيين وايراد الشواهد ونسبة الأقوال إلى أصحابها ما يشعر القارئ أنه يقرأ لأحد أئمة اللغة

وأنقل هنا مثالين من إملائه على بعض أبيات ديوانه تبصرة للقارئ . جاء فى شرح البيت :

أحاد أم سُداس فى أُحاد ليلتنا المنوطة بالتناد :

« قال أبو الطيب : يقال أُحاد وثناء وثلاث ورباع إلى عشار فى المؤنث والمذكر غير مصروف ، والفراء يصرفها إذا جعلها نكرات ، وكل ما لا ينصرف من الأسماء يصرف فى الشعر ، لأن الصرف الأصل . وهذا الذى ينسب اليه فى العدد فيقال ثنائى وثلاثى ورباعى وخماسى إلى عشارى . قال أبو النجم :

فوق الخماسى قليلا بفضله أدرك عقلا والرهان عمله

وأنشد :

ضربت خماس ضربة عبشمى أدار سداس ألا يستقيما

وللكميت :

فلم يستريثوك حتى رمـ ـيت فوق الرجال خصالا عُشارا

وللهذلى :

يصيّد أحدان الرجال وإن يجد ثُناءهم يفرح بهم ثم يزدد

وأنشدنى :

أحمّ الله ذلك من لقاء أُحاد أُحاد فى شهر حلال

وحكى ابن السكيت عن أبى عمرو : ادخلوا موحد موحد ومثنى مثنى ومثلث مثلث ومربع مربع وكذلك إلى العشرة . وكذلك ادخلوا أحاد أحاد وثناء ثناء وثلاث ثلاث ورباع رباع إلى العشرة . قال على (يعنى ابن حمزة راوية أبى الطيب) وقال أبو الطيب : وكان أبو حاتم تبع أبا عبيدة فى قوله فى كتاب المذكر والمؤنث : « ورباع رباع . ولا نعلمهم قالوا فوق ذلك » ثم رجع عنه فقال فى كتاب الابل : « ورباع إلى العشرة »

قال أبو الطيب : وأماليبيتنا فتصغير تعظيم كقول لبيد

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفرّ منها الأنامل

الرواية التى أعرفها خويخته . وكذا أنشده المبرد واليزيدى وثعلب وأنشدنيه المتنبى دويهية (هذا من قول على ابن حمزة) وقال الأنصارى : أنا جُذَيلها المحكك ، وعُذَيقها المرجب ، قال : وتصغير الأسماء على هذا المعنى كقولهم كليب وعمير . قال وما يروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه : أنا هوى ومنى سلاحى فصغره

والتنادى ، أراد التنادى بالرحيل » . ا هـ

وفى شرح البيت :

إذا عرضت حاج إليه فنفسه إلى نفسه فيها شفيع مشفع

قال أبو الطيب : يقال حاجة وحاج وحاجات وحوج ،

---

(١) ياقوت : الحاتمى والصبح ص ٧٩

(٢) الخزانة ج ١ ص ٣٨٦

(٣) الصبح ص ٨٠ والخزانة ص ٣٨٩

وعلى غير القياس حوائج . وتقول العرب : فى نفسى منه حوجاء أى حاجة ، وأنشد :

ألا ليت شوقا بالكناسة لم يكن   اليها لحاج المسلمين طريق

وقال آخر :

لعمرى لقد لبّثتنى عن صحابتى   وعن حوج قضاؤها من شفائيا

وأنشد لامرئ القيس :

لتقضى حاجات الفؤاد المعذب

وأنشد الفراء :

نهار المرء أمثل حين يقضى   حوائجه من الليل الطويل

وزعم الأصمعى أن حوائج مولدة . قال أبو الطيب : وهى كثيرة على ألسن العرب خرجت عن القياس . قال البصرى (على بن حمزة) وأنشدنى أبو الطيب للشماخ :

تقطع بيننا الحاجات إلا   حوائج يعتسفن مع الجرىّ

قال : حوائج جمع حائجة على القياس وهو صحيح . وقد ذكر ذلك ابن دريد فقال حاجة وحائجة وحوجاء » . اهـ

ذلكم مثال مما أملاه الشاعر على رواة ديوانه . وإنى لراج أن ييسر الله لى عما قليل طبع الديوان مجرداً من كل شرح إلا أمالى الشاعر والمقدمات التاريخية التى تصدّر بها بعض القصائد وأحسبها من إملاء الشاعر كذلك

٣ — وقد قرئ على أبى الطيب فى مصر كتاب المقصور والممدود لأبى العباس بن ولاد فصححه وأخذ على مؤلفه غلطات ، وقد عثرت على رسالة اسمها « التنبيهات على مقصور ابن ولاد النحوى » جاء فى مقدمتها :

« قال أبو القاسم : وكان هذا الكتاب أعنى المقصور والممدود قرئ على أبى الطيب بمصر سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، فردّ فيه على ابن ولاد أغلاطاً وبينها ، واستشهد عند بعضها ، فجمع رد أبى الطيب وشواهده بعض المصريين وادّعاه لنفسه بعد خروج أبى الطيب من مصر ، وأضاف اليها أشياء من عنده غلط فيها هو وأشياء أصاب فيها . وكان هذا المدعى سمع هذا الكتاب وغيره من ابن ولاد وعنه سمعته ، وهذا المدعى يعرف بأبى الحسين المهلبى ، فاذا مرّ من تلك الأغلاط والشواهد شىء فى كتابنا عزوناه إلى مستحقه وبيناه إن شاء الله » ...

وقد قرأت كتاب التنبيهات على مقصور ابن ولاد وهو كتاب صغير فجمعت ما نسبه المؤلف إلى أبى الطيب من الرد على ابن ولاد وأثبته هنا :

« وقال ابن ولاد فى باب الشين : وذكر عن أبى عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمرو أنهما قالا الشَذو لون المسك ، قال الشاعر :

إن لك الفضل على صحبتى   والمسك قد يستصحب الرامكا

حتى يعود الشذو من لونه   أسود مضنونا به حالكا

وهذا ما أخذه عليه المتنبى قبلنا فقال هو الشِذو . وقد أصاب المتنبى وغلط ابن ولاد فى فتحه

وقال ابن ولاد فى هذا الباب (باب الطاء) : والطُرق فى النسب من قولهم الطُرق والقُعدى فالطُرق أبعدهما نسباً والقعدى أدناهما نسباً

وهذا ما أخذه عليه المتنبى قبلنا فقال الصواب الطرف بالفاء .

وقال ابن الأعرابىّ يقال فلان أقعد من فلان أى أقل آباء وأطرف من فلان أى أكثر آباء . وهو مأخوذ من الطرف وهو البعد .

وقال الأصمعى يقال فلان بين الطرافة إذا كان كثير الآباء إلى الجدّ الأكبر . وهو عندهم مدح كما قال الشاعر :

طرفون لا يرثون سهم القُعدُد(١)

وهذا الذى حكاه المتنبى مشهور معروف من قول ابن الأعرابى والأصمعى (وهو) الصحيح . وقد ادعى هذا الرد ابن الملتقط (يريد أبا الحسن المهلبى) وكذب فى ادعائه وهو من رد المتنبى

وقال ابن ولاد فى هذا الباب (باب الغين) غضى مائة من الابل معروفة كقولك هنيدة وأنشد :

ومستخلف من بعد غضى صُريمة

فأحربه لطول فقر وأحربا

وهذا ما رواه المتنبى فادعاه ابن المنبوذ (يريد المهلبى أيضاً) فقال الذى رواه أبو العباس (ابن ولاد) غضنى بالنون . وهو خطأ إنما هو غضى بالياء . وهذا صحيح »

ذلكم أبو الطيب فى علمه باللغة وشواهدها ونحوها وصرفها ... الخ الخ

عبد الوهاب عزام

(١) هو لأبى وجزة . وصدره : أمرون (بكسر الميم) ولادون كل سميدع

يا ضــــوء

للأستاذ عبد الرحمن شكري

تضيء ما يستر الظلام من الـ … قبح وتكسوه حُلّة البدر (١)
وأمسك النار وهي صائلة … للخير والشر صولة الغِيَر (٢)
كسوتَ وجهي وخاطري حُللاً … وكنت للبين علة النظر
لولاك لم يرحم الذي حمد الـ … حسن أخاه ذا الآفة الكدِر (٣)
تلوح للهالك السقيم فيـ … ـمدك خير اللذات والذُخُر (٤)
تلوح للجارم الحبيس كما … يلوح ماضي النعيم في الصور (٥)
تغذوه أم في عينها أبدا … سحر حنان يضيء في البصر (٦)
وهو وليد قد أولعت يده … بخطفة الضوء حلية الحجر
وكلنا ذلك الوليد إذا … لاح سراب الرجاء والوطر
وأنت في المعبد المَشيدِ كضو … ء الله في صالح من الخبر (٧)
أو مثل ضوء الضمير محتبس … في النفس أو كالصفاء في السِّيَر
تهبط فوق الغدير في مرح … مثل هبوط الطيور في الشجر
أم أنت روح الحبور قد برزت … تنير وجه الحياة في خَفَر
سنابل النبت أنت صغت لها … من عسجد حُلة من الحَبَر
ترقص رقص الحسناء إن لها … رقصاً كرقص الضياء في النهر
يا علماً للحياة ينشره الـ … ـكون فيقصي القلوب عن خَوَر (٨)
ورُب فجر بَثَثْته بَهِج … كفجر حب في القلب منفجر
أو مثل فجر الآمال إن لها … فجراً وليلاً يُضاء بالذِّكَر

---

(١) البدر : جمع بدرة مقادير من النقود (٢) غير الدهر : صروفه (٣) ذا الآفة : أى الكفيف (٤) لان الهالك يعد الضوء رمزاً للحياة التى سيفارقها (٥) يرى الحبيس الضوء فى سجنه فيذكره بعهده وهو طليق برئ (٦) أى أن المجرم الحبيس يتذكر ضوء سحر الحنان فى نظر أمه وهو طفل برئ (٧) سطوع الضوء فى معابد الصلاة له جلال وأثر فى النفس ، والمشيد بفتح الميم
(٨) الخور الضعف والجبن

فطرز السحب مثلما حسن الـ … ـنحس بضوء الرجاء في الكدر
كأنما أنت سُلّمٌ لعلا … ء النفس تسمو لآية العُمُر
أم أنت حسن الجِنانِ نبصره … منفجراً خارجاً من الثُّغَر (١)
ترمد طرف الحزين إن أخا … ك الليل برّحٌ بالخاطر الكدِر
تليحُ بالسعد والمنى أبداً … لذي طموح بالترب منعفر
وأنت كالبحر دره الفلك الـ … ـدوار أو فاقع من الزهر (٢)
ويا بشيراً بما نخال من الـ … ـآلاء في مقبل من الغِيَر (٣)
حكيت ذخر الآمال تبعثها … للوهم يزهو كالتبر في الذخُر
تخال من رقة المراسم معـ … ـنى لا يراه البصير بالبصر (٤)
أشهى ضياء يكسو الحبيب خما … ر أنعم ذاك الكساء في الخُمُر (٥)
تستبق الطير في أشعتك الـ … ـغراء فعل الحسان في الغُدُر (٦)
وضاءة الماس منك قد قبست … وأنت في الروض خمرة الزهر
والضوء في المنزل الخراب كقلـ … ـب الندب يشفي بالجسم في الكِبَر (٧)
خواطر الخير كالملائك أو … كالضوء يزهو في قمة الشجر
كل جليلٍ مُشَبَّهٌ بك في الـ … ـمدح وليس التراب كالدُّرَر (٨)
فالحق والحسن والمطامع أشـ … ـباهك في قول ناعت الغُرَر
أضئْ إن اسطعت ما يرام من الـ … ـغيوب والطارقات والقدر (٩)
كم ذا رأيت الأنام في عنت الـ … ـعيش نشاوى من غير ما سُكُر
فلم تقطب على الشقاء ولم … تبدُ كوجه الليل معتكر
كالشيخ شام الخطوب قاطبة … يذخر غُفْراً لزلة البشر (١٠)

عبد الرحمن شكري

---

(١) الثغر جمع ثغرة أى فتحة (٢) يغمر الضوء الفلك والأزهار فكأنه بحر وكأنها دره (٣) استقبال الضوء كاستقبال البشرى من بهجة وجذل (٤) أى من لطافته يخيل للرأى أن أثره فى النفس لا فى العين (٥) الخمر بضمتين جمع خمار (٦) والغدر جمع غدير (٧) الندب : المرجو فى الأمور لنشاطه (٨) كل جليل مشبه بالضوء فيقال نور الحق ، ونور الحسن ، ونور الأمل ، ونور الطهر ، الخ (٩) إن اسطعت : أى استطعت بحذف التاء والخطاب للضوء (١٠) أى كما أن الشيخ قد يعزيه علمه بالحياة أن يغتفر للناس زلاتهم فلا يعبس كذلك أنت لا تعبس بالرغم من عنت الحياة وشقائها

مأساة فراق

ما البرق لاح لتائه وخبا … والكون عاد يغب في الظُّلَم
أو منية للنفس سُرَّ بها … قلب ولم يك ذا سوى حُلُم
بأمض وقعاً من نوى قرنت … بتعارف فتآلف النسم
يا لحظة ما كان أسعدها … لو لم تدع قلبين في ضرم
لم يكف سرعتها فنغَّصها … يا للقساوة حقد منتقم
هل في قريضك بعدُ تسلية … يا صائغ الأشجان في نغم
أم قد يضاعف ذاك من أسف … وهل القريض يرد من عدم
شلت يد التفريق حين رمت … متآلفين بسهمها الشبم
متجاوبين بكل عاطفة … متفاهمين بأعين وفم
يتساقيان على الكؤوس هوى … أغضى الرقيب له على رغم
كل يحس بقلب صاحبه … ويرى له كالروح من سجم
تلك السعادة وهي إن قصرت … حسب المحب لذاذة الألم

(...)

الشعب الباسل

للسيد عبد الرحيم محمود

شعب تمرَّسَ في الصعا … بِ ولم تنل منه الصعابْ
لو همُّهُ انتابَ الهضا … بَ لدُكدكت منه الهضابْ
متمردٌ لم يرضَ يو … ماً أن يقرَّ على عذاب
عرنينه بلغ السما … ء ورأسه نطح السحاب
وعُداته رُغم الأنو … ف تذللا حانوا الرقاب
مثل حدا حادي الزما … ن به وناقلت الرُّكاب
إن تجهل العجبَ العجا … بَ فإننا العجبُ العجاب
نحن الأُولى هابَ الوجو … دُ وليس فينا من يهاب
وسلِ الذي خضع الهوا … ء له وذلَّ له العباب
هل لان عود قناتنا … أم هل نبت عند الضراب
أو شام عيباً غير أنا (م) … ليس نرضى أن نُعاب
حييت من شعب تخا … لد ليس يعرُوه ذهاب
لَفَتَ الورى منك الزئيـ … ـر مزمجراً من جول غاب
وأرى العدى ما أذهلَ الـ … ـدنيا وشاب له الغراب
عرف الطريق لحقه … ومشى له الجَدَد الصواب
الحقُّ ليس براجع … لذويه إلا بالحراب
الصرخة النكراء تجـ … ـدي لا التلطف والعتاب
والنارُ تضمن والحديـ … ـد لمن تساءل أن يجاب
حكِّمهما فيما تريـ … ـد ففيهما فصل الخطاب

(فلسطين) عبد الرحيم محمود

الراعي الشيخ

لفكتور هوجو — ترجمة أحمد فتحي مرسي

مالت الشمس للغروب وعاد الـ … ـليل في إثرها عبوساً مهيبا
وعلى الصخر قد تطرَّح شيخ … أوشكت شمس عمره أن تغيبا
غارقاً في السكون والصمت يرعى الـ
شمس في الغرب والفضاء الرحيبا
لحظة أي لحظةٍ قد تولت … هدأ البحر والجبال لديها
رقد الشيخ والرياح حواليـ … ـه وقد رفرف السكون عليها
غابت الشمس وهي ترنو إليه … وقضى الشيخ وهو يرنو اليها

إلى باكية

للسيد شفيق معلوف

وَيحِ لو كنتُ عالماً أن شعري … سوف ينتابُ منكِ غصَّةَ حُزنِ
لرميتُ اليراعَ عني بعيداً … ونفيتُ العذاب عنكِ وعني
ولو اني لمحتُ دمعتكِ الحرّى … لَشَيَّعتُها بآخر لحن
وبسطتُ ابتسامَ ثغري عليها … وتلقيتها بأهداب جفني

***

أيُّ لحنٍ أثار شجو العذارى … وتمنَّيتُ أنني لم أكُنهُ
أيُّ دمعٍ أُريق من غير جفني … ورآه جفني فلم يحتضنهُ
أين ذنبي؟ وفي مدامعكِ الذنبُ … وقلبي الذي يكفرُ عنهُ
إنْ يقرِّح جفنيكِ شعري — لكِ الـ
لهُ — فقلبي تقتصُّ عيناكِ منهُ

القصص

قصة مصرية

صراع مع الشيطان !

للأستاذ دريني خشبه

« الحوار فى الأصل باللهجة المصرية ... »

انبسطت حقول الأرز حول القرية الساكنة الشاحبة ، وهدأ الليل الفضى إلا من ضفادع تنق ، ونسمة ترف فتحرك أغصان (الجميزة) الكبيرة التى ترسل فروعها فوق شاطئ النيل من جهة ، وفوق (الدوّار) الواسع فى شرق القرية من جهة أخرى ؛ وسفر البدر الجميل الساحر ، ففضض عباب النيل ، واختلط لجينه بمائه النجاشى ، وتدفق فوق (اللسان) الحجرى الأبيض الذى أقاموه ليفل من غربه فأحدث خريراً موسيقياً بديعاً

وجلس (حماده) بن العمدة فى منعزل عند ضفة النهر مما يلى الماء ينتظر فاطمة ... الفلاحة الصغيرة الجميلة ، التى رآها ابن العمدة حاسرة عن ساقيها وهى تنق الأرز مع الفلاحات الأخريات ، فجن بها جنوناً ، وافتتن بها افتتانا

لقد رشقت قلبه بنظرةٍ ماكرة حين رأته يكاد يأكلها بعينيه الجائعتين ، وحين أحسَّت أنها حلت من فؤاده منزلة لا تعدلها منزلة فتاة أخرى ، حتى ولا زوجته الغنية التى بنى بها منذ شهر وبعض شهر ، فكان لعرسها صدى أى صدى فى كل القرى المجاورة ، لا سيما وقد غنى فيه المطرب المشهور الشيخ عبد الأله .. والعياذ بالله ...

ولسيقان الفلاحات جمالها الرائع ، وهى دائماً مجاطة بظل من الفتنة ، يزيده الخلخال النائم على العقبين ، والملاءة السوداء القصيرة ، رونقاً ورواء . وكان لفاطمة جيد بارز وقوام ممشوق ، وكان لها عنق طويل أبيض ، يزينه عقد كبير من الكارم الأصفر ، ينتهى بحلية من النحاس المصفح بالذهب فتقر على الصدر ، عند انفراج الثديين ، فتزيد اهتزازات النهد خفقاناً فى قلب حمادة ... حمادة المسكين ... الذى ربط حياته أبوه بحياة هذه الزوجة الغنية التى لم يحبها ، والتى ألقاها أبوه على كاهله حملا ثقيلا من الهم والشقاء ... والذهب !! والذهب لا يصلح علاجا للهم والشقاء مهما كان كثيرا طائلا

لقد كان حمادة فتى ذكيا من فتيان الأزهر ، فقطعه أبوه عن العلم ليزوجه هذه الزيجة الغنية قبل أن تفلت من يده ، لأن أبناء العمد فى القرى المجاورة كانوا قد بدأوا يخطبونها إلى والدها ، وقد غادر حمادة الأزهر وفى قلبه حسرة ، ولكنه خضع لمشيئة والده بعد أن خدعه بالأمانى والآمال ، وبعد أن زين له مستقبلاً مليئاً بالحور العين والدعة ، وبعد أن بغض اليه مستقبل التحصيل الأزهرى الشاق بتكرار هذه العبارة المنكرة : « الأزهر ما مستقبله ؟ علومه ما قيمتها ؟ أتريد أن تفقد بصرك وصحتك لتكون مأذوناً شرعياً آخر الأمر مثل الشيخ عرفه ؟ »

وتزوج حمادة من نظيرة ، فلما كانت ليلة العرس ، ودخل إلى عروسه ، دارت به الأرض ، وشعر كأن هواء الغرفة يخنقه ، وانطفأت فى عينيه الشموع الكثيرة الموقدة فى (الصوانى) النحاسية تحملها القرويات الصغيرات ، وخيل اليه كأن جهنم بكل ما فيها من سعير تزفر من لهب هذه الشموع فتكاد تحرقه

لقد نظر الى عروسه فطاشت أحلامه ؛ وذهبت أمانيه فى الجمال الذى كان ينشده أباديد . . . حماده ، الذى كان يعبد الله فى الجمال يبتليه أبوه بهذه المرأة التى فقدت نصف أذنها اليمنى ، وأتلف الجدرى أنفها ، ونما لها فى كل يد إصبع سادس ما ينفك يرقص كأنه الجلْجُل الصغير فى عنق الدابة ، ثم هى قصيرة مكلثمة

شائهة ، وقد زادتها الأساور والقلائد والقرط والخواتم وأرطال الذهب قبحاً على قبحها

وتدرع حمادة بالصبر ، ولم يشأ أن يجرح عزة هذه العروس التاعسة التي ليس ذنبها ألا تكون جميلة ، فهي لم تخلق من نفسها شيئاً ، بل هو قد رحمها وأشفق عليها رثاء لها ؛ وصرف أهله وأهلها ، وغلق الباب ، وخلا اليها ، ثم راح يكلمها كلام الذاهل عن نفسه ، المستسلم لقضاء الله . . . ولكنها لم ترد عليه ، بل تركت دمعة غليظة تنحدر على خدها فجأة ، ثم استخرطت بعد ذلك في البكاء !

— « ما الذي يبكيك يا ... »

— « لا شيء ! فقط ، كنت ولا زلت أعتقد أنني لم أكن أصلح لك كزوجة ، ولكنهم أرغموني كما أرغموك ياحمادة ، فليس هذا الذنب ذنبي ! »

— « ولكنك مخطئة ، فأنت امرأة صالحة وغنية ! »

— « وهذا هو موضع أساي وسبب بلواي . . . إسمع يا حمادة ، لك مطلق الحرية في أن تسرحني من الغد وأن تكون حراً بعد ذلك ، وسأرد لك صداقك ، بل سأرده مضاعفاً إن شئت . فان أردت أن تستبقيني لديك فسأعيش معك عذراء الى الأبد ، ولن أنغص عليك بخلقي الشائه متاع قلبك ونعيم نفسك ولذة شبابك ونضرة صباك . فهذه أشياء لك أن تنعم بها ، ومن الظلم أن أفرض عليك هذا القبح الذي رزأني به القادر ، فأقف به بينك وبين لذات الحياة وهناءاتها . . . أرسلني أشكر لك ، أو استبقني أحمدك . فان كانت الأولى تكن قد خلصت من خطأ أوقعك فيه غيرك ، ولم تتكلف في سبيل الخلاص منه قليلاً ولا كثيراً ؛ وإن تكن الثانية ، فثق أنني سأعيش في كنفك كما تعيش الراهبة في دير ساكن هادئ على هامش صحراء ، يقنعها أن قد انقطعت عن بهارج الحياة وزخارفها وآمنت ببطلان لذاتها . . . آه ! يا إلهي ! لم لا نتخذ نحن المسلمين مثل هذه الديور ؟ ! . . .

— « كفى يا نظيرة كفى ! بل تعيشين معي على أحسن ماتعيش فتاة تفرح برجلها ! . . .

***

وعاشت نظيرة في كنفه ، عذراء كما عاهدته ، وكان هو يحنو عليها ويعطف كل العطف ، وكان يسامرها ويلاطفها ويهش لها ويبش ، حتى كلفه أبوه بمراقبة الفلاحات إذ ينقين الأرز من الحشائش الغريبة وسائر الطفيليات ، فرأى فاطمة ... فاطمة الشابة الجميلة التي تتأرج كالزهر بشذاها وعرفها ، وتتبرج كالدنيا بمفاتنها وظرفها ... لقد بسمت له عن فم رقيق ، وغمزت قلبه بعين خبيثة ماكرة ففجرت فيه أحاسيسه المكبوتة ، وأطلقت عواطفه الحبيسة ، وأحيت في صميمه مطالب الشباب فثارت كالبركان ، وصعد الدم الحار يغلي في رأسه ، وتدفقت في أعصابه قوى هائلة من الطبيعة البشرية بغضت إليه هذا الزهد المصطنع الذي فرضته عليه نظيرة ، وقبحت إليه تلك الرهبانية التي عرفها وهو في ميعة الصبى وشرخ الشباب منذ الليلة الأولى التي رأى فيها زوجته الشائهة المسكينة

وكان يرسل من يشتري له بلحاً أحمر يأكله بعد الغداء ، وكان يوزع على الفلاحات بيده من ذلك البلح إذا فرغن من غدائهن ؛ وكان نصيب فاطمة من هذا البلح الأحمر كبيراً منتقى ، أثار في قلوب أترابها غيرة شديدة وجعلهن يهمسن بكلام كثير

ومرت الأيام ... وتأكد الحب بين حمادة وفاطمة ، وإنه لينتظرها الليلة في هذا المنعزل الفريد عند ضفة النيل مما يلي الماء ، قريباً من تلك الجميزة الكبيرة الوارفة ، وإنها لتتأخر عن موعدها فيقلق حمادة ويضطرب ، ويسمج في عينيه كل شيء من الطبيعة الساحرة التي حوله ، حتى بدرها الذي كان للحظة قصيرة يتلو عليه مزامير الحب ، يخيل اليه أنه مظلم قاتم ، أو أنه جذوة من الشك السادر الحزين تجوب أقطار السموات

« لم لم تأت يا ترى ؟ آه اللعينة ! أخشى أن يكون في الطريق الى قلبها فتى سواي ... سأعرف ... لابد ... لابد أن أعرف ... سأسألها الليلة ، لابد أن ألقاها مهما كانت ظروفها ، لن تستطيع أن تنكر ، ماذا تقول ؟ هيه ! »

وصعد إلى الجميزة لأنه لم يحتمل مرور الزمن وهو يترقب وينتظر ، وجمع قليلا من الجميز الفلكي الأحمر الكبير ، وهبط ليلقى فاطمة تنتظره ، فقذف بالثمر الناضج على العشب ، وفتح ذراعيه وضم الى صدره فاطمة ، واحتملها كاللعبة ، ويمم شطر

المنعزل الهادئ القريب من الماء ... ثم جلسا يتناجيان ...

— « لماذا أبطأتِ عليّ يا بطة ؟ »

— « لاشيء ، غير أنني كان يخيل اليّ أن الطريق كلها عيون ترقب جميع حركاتي ، وكنت على غير عادتي أشعر بقلبي يخفق خفقاناً شديداً ... حمادة أليس قلبك يخفق مثل قلبي ؟ »

— « يخفق ؟ يخفق فقط ؟ إنه كاد ينخلع هذه الليلة يا طمطم لأنك أبطأت كثيراً ... »

— « حمادة ، أنا خائفة ... »

— « خائفة ؟ من ماذا ياحلوة ؟ هل هنا عفاريت ؟ »

— « لا ، ليس من العفاريت ، فالليلة مقمرة ... الحمد لله ... »

— « إذن مم تخافين ؟ هل تعقبك أحد إلى هنا ؟ »

— « لا ... لا أظن ، ولكن ... »

— « فاطمة ... كفى ! يجب ألا تفكرى فى شيء ما دمت معى ... تعالى يا فاطمة ، هاتى فمك الخمرى الجميل ، الله ! ما أشهاه يا فاطمة ! قبلة ثانية ، لا والله ، لا بد ، لا بد ، فاطمة ، أنت ترفضين ؟ آه ! يا قلبى ! »

— « حمادة ! أنا خائفة قلت لك ! »

— « خائفة من أى شيء يا طمطم ؟ »

— « من ... من ... منك ... أنا خائفة منك ياحمادة ؟! »

— « منى ؟ منى أنا ؟ أنت خائفة منى ؟ »

— « نعم أنا خائفة منك ... خائفة جداً ! »

— « لماذا ؟ هل أنا عفريت ؟ القمر طالع والحمد لله ؟... »

— « حرام عليك يا حمادة ! »

— « حرام على ماذا ؟ »

— « شيء ... فقط ... زوجتك نظيرة ... إنها لو علمت تقتلنى ! »

— « امرأتى نظيرة ! العياذ بالله ؟ نظيرة ليست امرأتى يا فاطمة ! »

— « ليست امرأتك ؟ امرأة من إذن ؟ »

— « أجل ، نظيرة ليست امرأتى ! إنها فريسة أبى »

— « فريسة أبيك كيف يا حمادة ! »

— « فريسة أبى ، لأنه تجاهل قلبى وشبابى حين اشتراهالى »

— « اشتراها لك ؟ وهل العرائس تشترى ! ماذا تقول يا حمادة ؟ »

— « اشتراها ، أجل اشتراها ، اشتراها لأنها تملك خمسين فداناً ومنزلين وعندها نقود كثيرة ، ولكنها ، كامرأة . . . لا تسوى منك قلامة ظفر يا فاطمة ! »

— « لِمَ ؟ أليست جميلة ؟ »

— « جميلة ؟ كلا ! انها شوهاء ! أكل الجدرى نصف أنفها وذهب الجزار بنصف أذنها ، ونبت النصفان ، نصف الأنف ونصف الأذن ، فى يديها ، فكانا فى كلٍّ إصبعاً سادساً ؟ ... »

— « ولكنك تخونها الآن يا حمادة ؟ أليس كذلك ؟ »

— « أخونها ، لقد صرحت لى ليلة الدخلة أنها لن تقف فى سبيل لذاتى ! »

— « ورضيت أن تعاشرها على هذا الشرط ؟ »

— « ... ؟ ... »

— « وأنا أرفض أن أكون مطية للذتك ! هذا كثير ! دعنى ! لا بد أن أعود أدراجى ! »

— « إلى أين ؟ »

— « ليس هذا شأنك ! »

— « آه ! اعترفى إذن ! الى عشيقك الثانى ! الذى أخرك هذه الليلة ! »

— « حمادة ؟ ماذا تقول ؟ أنت جبان ! »

— « جبان ؟ لا ... أنا لست جباناً ... ألذلك تخافين منى ؟ ولكن لا ، لن يتمتع بك أحد غيرى ، أنت لى وحدى ، أفهمتِ ؟ أنتِ لى وحدى ! فاطمة ! انزعى هذا الثوب ... وذاك النصيف ! »

— « يا حمادة عيب ! »

— « عيب ؟ لا ، ليس فى ذلك عيب مطلقاً ! قد عرفتك الليلة فقط ، ولا بد أن أنالك رضيت أو لم ترضى ! ستكونين جميلة جداً وأنت عارية ! »

— « حمادة ! ان لم ترجع (فسأصوّت)

— « صوّتى ما شئت ! لا تفضحين إلا نفسك ! أنا رجل على كل حال ، ماذا يهمنى اذا اجتمع الناس ؟ ...

وانقض عليها المسكين ينزع عنها ثيابها ثوباً ثوباً .

وما استعصى عليه منها جبذه فمزقه ، حتى وقفت أمامه فاطمة دمية من المرمر الناصع ... تمثالاً ! تمثالاً فاتناً خلاباً ... ولكنه لا يتحرك ! لقد ذهلت فاطمة عن نفسها فلم تدر ماذا تصنع ؟ أتصوت كما أنذرته ؟ ولكنه قال لها إنها إن فعلت فلا تفضح إلا نفسها ... جبنت فاطمة فلم تصوت إذن ... ووقفت مشدوهة حائرة ، وصب القمر على بدنها الجميل المذعور أضواءه الفضية فزادها فتنة ؛ وهبت نسمات عليلة فداعبت شعرها الأسود فانتثرت على جيدها وظهرها وحول عنقها ... وجاء دور الشيطان ... نوبة إبليس الأكبر ! فراح يصقل فخذيها ويلون خديها ويثقل ردفها وينفخ ثدييها ... وانطلق يوسوس فى قلب حمادة « هلم ! اهجم عليها ! لماذا تنتظر ! هاهى ذى ! إنها لك الساعة واذا فارقتك فلن تراها بعد ! أنت شاب ، وللشباب مآربه ! زوجتك الشائهة ! لا تخش شيئاً ! اقطف الثمرة قبل أن يلتقطها عشيق غيرك ! الجدرى ! فاطمة جميلة ساحرة ؟ الأصبع السادس ! هاك متاع الدنيا ! ... »

وأزله الشيطان فانقض على الفتاة البائسة ... وطرحها على (الدريس) اليابس وأعواد البردى المنداة ... ووقف برهة يملأ ناظريه الفاسقين من جمالها المظلوم ... وقبل أن يتقدم فيخطو الخطوة الأخيرة ، وحين أيقنت فاطمة أنه موشك أن يعتدى عليها ... اغرورقت عيناها بدموع غليظة ، وقالت له :

— « حماده ! والقرآن يا حماده ! القرآن الذى حفظته فى الأزهر ؟ نسيته ؟ نسيته يا حماده ... بهذه السرعة ؟ »

— « القرآن ؟ القرآن ! ! هه ! ... »

وجمد الفتى فى مكانه لحظة ... ثم ولى الفتاة ظهره ، ونظر الى السماء وقال :

— « ربى ! غفرانك اللهم ... فاطمة ! »

— « ... ؟ ... »

— « انهضى فالبسى ثيابك ! »

* * *

ونهضت فاطمة وهى لا تصدق ، فارتدت ملابسها ، الممزق منها وغير الممزق ، ثم قالت لحمادة بصوت خاشع متهدج :

— « حمادة ! أنت ... مالك يا حمادة »

ولكن الفتى ازور عنها وقال :

— « لا شىء يا فاطمة ... عودى أدراجك الى منزل أبيك ، وسأحرسك من بعيد ... »

وانطلقت الفتاة فى الطريق المقفر الموحش ، وانطلق فى إثرها حمادة ، وهو لا يكاد ينظر اليها ...

* * *

— « نظيرة ! هل يحزنك أن أتزوج ؟ »

— « يحزننى ؟ بل يسرنى أن تمتع شبابك كما يحلو لك ! »

— « إذن فقد عقدت على فتاة فلاحة ... فقيرة فى غاية الفقر وستكون خادمة لك إذا شئت ! »

— « من ؟ من هى يا حمادة ؟ من هى بالله عليك ! »

— « فاطمة بنت عم عبد القادر العتال ! »

— « مبارك ... مبارك يا حماده »

* * *

ولم تحتمل نظيرة الموسرة هذه الرهبانية التى فرضتها على نفسها فى منزل العمدة الذى خدع ابنه فرجت حمادة فى طلاقها ... وذهبت بكل ما عليها من ذهب الى منزلها الرحب الفسيح فى إحدى القرى المجاورة للمنصورة !

دريني خشبة

البريد الأدبي

احياء الموسوعات العربية العامة

رأى صاحب المعالى الأستاذ زكى باشا العرابى وزير المعارف أن تقوم وزارته باحياء المصادر التاريخية والأدبية للمخلفات العربية العامة ، فأمر أن تؤلف لجنة من رجال الأدب لبحث هذا المشروع الخطير

وقد اجتمعت هذه اللجنة بوزارة المعارف ظهر الاثنين الماضى (٢٤ أغسطس) برياسة الأستاذ محمد العشماوى بك وكيل المعارف ، وحضور حضرات أصحاب العزة محمد عوض ابراهيم بك ، والأستاذ على الجارم بك ، ومحمد أحمد جاد المولى بك ، ومراقبى التعليم ومساعديهم ، واختارت لجنة فرعية من شيوخ اللغة العربية بالوزارة لتنفيذ رغبة معالى الوزير بمراجعة الأصول العربية واخراجها باشراف الوزارة ورعايتها ، بحيث تمكن هذه المراجع العامة من اعطاء مادة كافية من وضع كبار مؤلفى العرب لمشروع دائرة معارف عربية كاملة بشكل يتفق مع زعامة مصر للأمم العربية

وقد شرعت الوزارة فى اعتماد المبالغ اللازمة لتنفيذ المشروع .

ومن المصادر التى رأت اللجنة مراجعتها : ابن الأثير ، والطبرى ، وتاريخ ابن مسكويه ، وتاريخ ابن خلدون ، وطبقات ابن سعد ، ونحو خمسين مؤلفا غيرها لها أهميتها الأدبية كالأمالى والكامل والأغانى والتراجم المختلفة فى القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر

ولا شك فى أن وزارة المعارف بهذا المشروع ستسدى خدمة جليلة للناطقين بالضاد فى جميع أنحاء العالم العربى

الحقيقة والتاريخ

ضمنا مجلس مع فخامة حقى بك العظم ، رئيس مجلس الشورى ، وكانت لا تزال فى خاطرى ذكرى القصة الشجية التى قرأتها فى مجلة (الرسالة) الغراء فى عددها (١٦١) للأستاذ على الطنطاوى بعنوان (النهاية) ... وما تضمنته من حوادث خاصة عن والى دمشق ناظم باشا والجفاء الذى لقيه عند زيارته لها فيما بعد ؛ فذكرت ذلك لحقى بك ، وكان يومئذ حاكم دمشق ، فاستغربه وقال : إنى أربأ بالكاتب أن يصل به خياله لهذه الدرجة برغم أن كتابته عالية . ثم أخذ يسرد علينا قصة مجىء ناظم باشا إلى دمشق والحفاوة البالغة التى حظى بها قال :

« ... ثم أتى دمشق بعد أن زار ابنتيه فى بيروت ، وكان ببزة عادية ، فبقى فيها عدة أيام زارنى خلالها فى «السرايا» فاستقبلته بكل حفاوة وتعظيم تقديراً له واكراماً لأعماله العمرانية التى أودعها فى مدينتنا ... وعند خروجه اصطفت له جنود الحرس وأقامت له التحية الرسمية ، وودعته أنا حتى الباب الخارجى ، وقد احتفى به معظم وجوه دمشق ، وتقدموا اليه بهدايا عديدة رفضها بكل إباء . وكان قد أحس نقيب الأشراف بوجوده فأتاه فى اليوم التالى ورجاه أن يطيل بقاءه بضعة أيام أخر لتقوم دمشق بواجبها نحوه ، فاعتذر بضرورة مغادرته المدينة إلى بيروت ، حتى أن السلطة الفرنسية تقدمت اليه بمنتهى الاكرام . وإنى أذكر أن الكولونيل كاترو أدّب له وليمة فاخرة كنت من المدعويين اليها . ولم يُظهر ناظم باشا مدة اقامته بدمشق عجزا أو حاجة مالية قط . وربما شعر بعض أصدقائه بشىء فتقدموا نحوه بعطايا كما ذكرنا فرفضها . ومن ذلك أن رجلا يدعى « شيخو آغا » كان « ياورا » عند الوالى ، جاءه بكل خضوع وبيده كيس صغير فيه (٥٠٠) دينار ، واستعطفه بلطف ورجاه أن يقبله منه كهدية ، قلت أو كثرت ، فهى من خيراته السالفة التى أنعمها عليه ، فأبى بعفة نادرة ... ثم مات منذ خمس سنوات ... »

حدثت هذه المقابلة اتفاقا ، فلم أرد أن أهملها أو أخفيها على قراء (الرسالة) الغراء خدمة للحقيقة والتاريخ

وإنا وإن كنا نستسيغ للأستاذ الطنطاوى الخيال المبدع فى القصص ، فاننا لا نود أن يتسامح فى الحقائق التاريخية . وإن إعجابى الشديد بمتانة أسلوب أخى الأستاذ الطنطاوى ، وقوة انشائه ، شجعانى لتصحيح هذه الناحية من قصته إتماما لفنه القصصى البارع ، والسلام م؟

(دمشق) علاء الدين الخانى

المسألة الاستعمارية

ظهرت فى العهد الأخير نزعة استعمارية جديدة فى بعض الدول التى لم تتح لها فرصة امتلاك المستعمرات من قبل أو التى فقدت مستعمراتها لأسباب خاصة ؛ وترجع الدول التى تضطرم بهذه النزعة الجديدة مثل إيطاليا واليابان وألمانيا وبولونيا مطالبها إلى حق المشاطرة فى امتلاك المستعمرات على قدم المساواة مع الدول الأخرى التى تتمتع بالأملاك الاستعمارية الواسعة مثل فرنسا وانكلترا وهولندة ؛ وتزعم فوق ذلك أن لها حق الفتح والامتلاك بالقوة ما استطاعت سبيلا الى ذلك ، وتدعى أن العوامل الاقتصادية تدفعها إلى ذلك دفعاً ؛ فزيادة السكان ، والعطلة ، وفقد المواد الأولية ، وغيرها مما يرغمها على تلمس السبيل إلى تخفيف متاعبها الاقتصادية بامتلاك المستعمرات واستثمارها

وقد بحث هذه المسألة كاتب سياسى واقتصادى كبير هو المستر جروفر كلارك ، وأصدر عنها أخيراً كتاباً ضافياً بعنوان « مكان تحت الشمس » A Place in the Sun وألحقه برسالة أخرى عنوانها « قوائم الاستعمار » Balance Sheet of Imperialism ، وفى الكتاب الأول يفند مستر كلارك مزاعم الدول الاستعمارية من الوجهة السياسية والتاريخية ، وفى الثانية يفند مزاعمها من الوجهة الاقتصادية بايراد الاحصاءات التى تدل على أن الغايات الثلاث التى تستتر وراءها : أعنى إيجاد منفذ للسكان ، وافتتاح الأسواق المحلية ، والحصول على المواد الأولية ، إنما هى غايات مزعومة

ويلاحظ مستر كلارك أن تحقيق هذه المزايا لا يتوقف على امتلاك المستعمرات فقط ، بل يتوقف قبل كل شىء ، وخصوصاً أيام الحرب ، على القوة البحرية التى تملكها الدولة المستعمرة . ومن جهة أخرى فان معظم البلاد التى تطمح إليها الدول المستعمرة قد أصبحت تغص بسكانها الأصليين ، ومن الصعب أن ينافسهم فى استثمار مواردها ومرافقها مهاجرون من الخارج ، وينطبق هذا بنوع خاص على البلاد الواقعة فى المناطق الحارة

بيد أن العوامل الاقتصادية ليست كل شىء فى الموضوع ، فهناك ما يسمى بالعزة القومية ، وهى مسألة أثارتها ألمانيا بنوع خاص . وهذا العامل المعنوى يراه المؤلف ضرباً من اللغو ولا يرى أن يقف به طويلاً ، إذ أن المبدأ المسلم به هو « أن تحصد أينما بذرت »

وبحوث مستر كلارك وملاحظته جديرة بالاطلاع والتقدير

من أخبار السفهاء فى مصر

قرأنا فى أحد أعداد جريدة الجورنال البارزية ما يأتى :

« فى مصر ، على مقربة من الأقصر ، يبنى الآن قصر فخم ، وذلك من أجل سحر عيون ممثلة من أشهر ممثلاتنا السينمائيات . وقد قال لها محبها ، وهو فتى ساحر ، يملك قرى بأسرها وحقول قطن على ضفاف النيل : « سوف تعيشين هناك كملكة ! » فأجابته الممثلة : ولكنى الى أن يتم ذلك سأعود الى فرنسا وأشتغل باخراج فلم « الملك » . وقد كانت ممثلتنا العظيمة الرشيقة عند قولها . ذلك أن ج . م (جابى مورلى) سوف تأتى فى مدى أيام قلائل لتقوم باخراج شريطها »

أجل تبنى القصور فى مصر وتنفق الألوف من أجل عيون الممثلات والغانيات الأجنبيات ! وهذا الفتى المصرى (الساحر) الذى تشير إليه الجريدة البارزية هو أحد أولئك الفتيان الذين ورثوا أموالاً مكدسة لم يعرفوا كيف حصلت أو كيف تحصل بعرق آلاف الفلاحين ، وإنما يعرفون كيف تنفق على الموائد والغانيات بلا حساب فى مصر وفى غير مصر : أولئك السفهاء هم فى الواقع عنصر مسموم فى المجتمع المصرى يجب القضاء عليه بكل الوسائل

أوراق العظماء

صدر أخيراً فى فرنسا قانون جديد يقضى باعتبار المراسلات والمذكرات الصادرة من العظماء سواء فى الحكومة أو خارجها من الآثار العامة التى يجب حفظها وحمايتها ، وقد كانت أمثال هذه المراسلات والوثائق تعتبر حتى اليوم بطريق العرف والتقليد من الآثار العامة . ولكن الحكومة الفرنسية رأت أن تسبغ على هذا العرف صفة رسمية كى تستطيع فى بعض الأحوال أن تضع يدها على الوثائق والمراسلات المخلفة عن العظماء وأن تودعها على ذمة التاريخ فى دار المحفوظات العامة على رغم معارضة المعارضين